مجلة البيان – العدد 2 صفر 1407 هـ أكتوبر 1986م

الافتتاحية

بين يدي عام هجري جديد

التحرير

ما أحوجنا ونحن نستقبل عاماً جـديـــداً أن نـعـيـش بقلوبنا وعقولنا ومشاعرنا وواقعنا مع رسول -صلى الله عليه وسلم- في هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وإذا كانت هذه الافتتاحية المتواضعة لا تتسع لجميع معاني الهجرة وما حـوته من دروس وعـبر ، فسوف نختار منها قيمة الزمن وأهميته .

لقد جاهد -صلى الله عليه وسلم - في سبيل الله حق الجهاد ، منذ أنزل الله عليه قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * ورَبَّكَ فَكَبِّرْ * وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)) [المدثر:1-4] ، فكان صلى الله عليه وسلم يواصل الليل مع النهار والسر مع الإعلان ، وما كان يخشى في الله لومة لائم ، ولا كان يردعه عن تبليغ الدعوة تهديد قريش ووعيدها .

واستجاب له منذ بداية الدعوة صديق الأمة أبو بـكــر من الرجال ، ومن الصبيان علي بن أبي طالب ، ومن النساء زوجه خديجة بنت خويـلــد ، واستجاب لأبي بكر : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، رضى الله عنهم جميعاً وأرضاهم .

وتعهد صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتربية والتـعـلـيـــم فـكـان يجمـعـهـم في دار الأرقم فيحفظهم ما ينزل عليه من القرآن الكريم ، ويأمرهم بحسن الأخلاق ، ويحذرهم من الفسق والشرك والعصيان ، وكان -صلى الله عليه وسلم- قدوة لهم في جميع أقواله وأفعاله .

وكان للوقت قيمة كبرى عندهم ، فكانوا يستغلون أوقاتهم في الدعوة إلى الله وفي التزود من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله ، وكانت العقيدة في نفوسهم أهـــم مـن الـمـال والأهـــل والـولـــد ، وعندما خيروا بين الوطن والقبيلة ورغد

الحياة وبين خشونة العيش والغربة والتشرد اختاروا صحبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والهجرة في سبيل الله.
لقد صدق الصحابة -رضوان الله عليهم- ما عاهدوا الله عليه ، وعندما ابتلاهم الله صبروا وضربوا أروع الأمـثـلـة في الفداء والتضحية ، وعندما نادى منادي الجهاد كانوا يتسابقون على الموت في سبيل الله ولسان حالهم يقول ((وعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى)) [طه:84].
وبعد ثلاثة عشر عامـا من البذل والتضحية أكرم الله جل وعلا محمداً وأصحابه - صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم - بالنصر وجاءهم من جهة المدينة .
ثلاثة عشر عاماً كانت محسوبة بأيامها ولياليها وساعاتها !!.
ثلاثة عشر عاماً لا يهنأ المسلمون فيها بلذيذ الطعام والشراب ، ولا يصرفهم عن ذكر الله حب الدنيا والتثاقل إلى الأرض .
ثلاثة عشر عاماً من العمل الجاد ، والتخطيط الدقيق ، والتربية الرائعة .
فأين نحن اليوم من سيرة الرسول وأصحابه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ .
لقد انسلخ عام كامل من أعمارنا . . انسلخ بثوانيه ودقائقه وساعاته وأيامه .. فماذا قدمنا فيه من أعمال صالحة ندخـــرها ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ؟!.
ماذا قدمنا فيه كأفراد وكشعوب ، ليوم كألف سنة مما تعدون ؟!.
إن الجواب على هذا السؤال مخـجـــل ومخـجـل جداً ، ولكن لابد من الاعتراف بالأمر الواقع ، فالواحد منا يخرج من بيته في الصباح الباكر ، ويمضي سحابة يومه في عمل قلما تنتفع به الدعوة الإسلامية ، ويعود إلى بيته آخر النهـــار وقد أضناه التعب فيتناول طعام الغداء مع أهله ويرتاح قليلاً ثم يمضي بقية اليوم وأول الليل في رعاية شؤون البيت والولد ، ثم ينام ، ثم يعود في الصباح إلى عمله وهكذا .. إنـهــــا - والحـق يقال - حياة كالتي وصفها الحطيئة في هجائه للزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
لقد شغلتنا أموالنا وأولادنا عن طاعة الله والجهاد في سبيله ، ونحن الذين حذرنا الله -جـــل وعــلا- من فتنة المال والولد قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ ولا أَوْلادُكُمْ عَــن ذِكْـرِ اللَّهِ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ * وأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُـــمُ المَوْتُ فَـيَـقُـولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * ولَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إذَا جَاءَ أَجَلُهَا واللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) [المنافقون : 9-11] .
وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول : »إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك« رواه البخاري .
وقال صلى الله عليه وسلم : لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه ما فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه .
سوف يسألنا مالك يوم الدين يوم الحشر عن أعمارنا ، هل أفنيناها في الأعمال الصالحة ، وفي الجهاد في سبيل الله ، أم أفنيناها في اللهو والتفاخر بالجاه والمال والولد .
ويسألنا سبحانه وتعالى عن أجسامنا هل أبليناها بالصيام والقيام وغض البصر وحفظ السان ، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المـنـكـر . . أم أبـلـيــنـاهــا فـي تنـاول ما لذ من الطعام والشراب؟! .
والسائل جلّ وعلا يعرف خفايا أمورنا ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
قال تعالى : ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ولا خَمْسَةٍ إلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ولا أَدْنَى مِن ذَلِكَ ولا أَكْثَرَ إلاَّ هُـــوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) [المجادلة : 7] .
وقد انتبهت الأمم الأخرى إلى قيمة الوقت وأهميته ، فالناس في جميع بلدان العالم كانوا يظنون أنه لن تقوم للألمان قائمة ، بعد

دمار بلدهم ، وهلاك الحرث والـنـســل فيه خلال الحرب العالمية الثانية .. ولكن أصحاب العقول من العلماء والحكماء والسياسـيـيـن الألمان راحوا يعملون بهمم جبارة ، ورفعوا شعار العمل ساعتين مجاناً في كل يوم من أجــل بناء بلدهم ، واستجاب الشعب لهم ، وهبوا جميعاً يعملون على قلب رجل واحد ، وخـــلال زمن يسير عادت ألمانيا دولة قوية مرهوبة الجانب وكأنها لم تتعرض لدمار شامل .

فتصوروا لو عمل المسلمون ساعتين في اليوم مجاناً في سبيل الله .

لو كان عملهم في مجال الاقتصاد لكان دخل الدعوة الإسلامية لا يقل عن ألفي مليون دولار في اليوم الواحد ، وسيكون خلال شهر واحد ستين ألف مليون دولار ، ولو رصد مثل هذا المبلغ في سبيل الله لتغير وجه الأرض شريطة أن يصاحبه تخطيط وصدق .

ولو كان عمل المسلمين في مجال تبليغ الدعوة لدخل الناس في دين الله أفواجاً في كل مكان من المعمورة ، وأصبح الإسلام دين البشرية كلها .

ولــو كـــان عـمـلـهـم في المجال العلمي بجميع جوانبه وفروعه ، لقاد علماء أمتنا العالم ولانتهت أسطورة اليهود وغير اليهود .

وفضلاً عن هذا كله ، فنحن أحق من الألمان بمثل هذا العمل لأنهم يعملون من أجل دنياهم ، ونحن نعمل من أجل دنيانا وآخرتنا .

فهل نبدأ عامنا الجديد ونحن أكثر استعداداً لعمل الخير وطاعة الله سبحانه وتعالى ؟!.

وهل نتخلى عن السـهـــرات والجـلـســـات الفـارغة وما يدور فيها من غيبة ونميمة ومراء ونفاق؟!.

وهل نستفيد من أوقاتنا ، ونحزن على كل يوم يمضي من أعمارنا دون أن نعمل فيه عملاً طيباً خالصاً لوجه الله ؟!.

وهل نجدد العهد مع الله ، ونتأسى برسول الله وأصحابه الغر الميامين - صلى الله على رسوله وعلى آله وصحبه وسلم - الذين عرفوا كيف يستفيدون من أوقاتهم ؟!.

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحـسـنـه ، ولا تجعلنا من الخاسرين الذين يؤثرون العاجل على الآجل والفاني على الباقي .

دعوة كريمة ..
أجــيــبــوا داعِـيَ الـلـــه

عثمان جمعة ضميرية

قال الله سبحانه وتعالى :
((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ وأَنَّهُ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ)) [الأنفال:24] .

ما أعظم المِنة التي امتنها الله تعالى على عباده،عندما أكمل لهم الدين،وأتم عليهم النعمة ، ورضي لهم الإسلام ديناً : ((اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً)) [المائدة :3] .

* وما أكرم هذا الإنسان،عندما يفيء إلى الله تعالى،ويستجيب لدعوته ويبصر أمامه الطريق المستقيم ، ليقوم بدوره في هذه الحياة،ويدرك معنى وجوده فيها !وعندئذ تتحقق له الحياة الحقيقية ، الحياة الكريمة الطيبة .

فالذين يستجيبون لله وللرسول ظاهراً باطناً هم الأحياء وإن ماتوا ، وهم الأغنياء وإن قلَّت ذات أيديهم ، وهم الأعزة وإن قلَّ الأهل والعشيرة .. غيرهم هم الأموات حقيقةً وإن كانوا أحياء الأبدان ، يَسْعَوْنَ بين الناس جيئةً وذُهوباً ، ((أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ومَا يَشْعُرُونَ)) [النحل:21] ، وهم الفقراء ، ولو كان الذهب النُّضار يملأ خزائنهم ، ويَعْمُر جيوبهم ، وهم الذين تغشاهم الذلة ، ولو كانوا يمتون بالنسب ، ويحتمون إلى أعرق القبائل .

* ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الله سبحانه وتعالى ، ودعوة رسوله -صلى الله عليه وسلم-،الذي يعاشرها ويبلّغها عن ربه تبارك وتعالى، فإن كل ما دعا إليه فيه الحياة ،

ومن فاته جزء من الدعوة فاته جزء ، من الحياة ، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب لله وللرسول -صلى الله عليه وسلم- (1) .
والله سبحانه وتعالى يوجِّه الدعوة الكريمة للمؤمنين ، ويستجيش فيهم عاطفة الإيمان ، ويخاطبهم بهذه الصفة : صفة الإيمان ، ويذكّرهم بمقتضى هذا الذي آمنوا به ، فيناديهم بصفتهم مؤمنين ليكون ذلك حاملاً لهم على المبادرة إلى إجابة الدعوة بعناية واستعداد ، وقوة وعزيمة . وهذا هو شأن المؤمن : إنه يتلقى أوامر الله ودعوته بقوة : ((يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ)) [مريم:12] ، ((خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ واذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))، [الأعراف : 171] فإن لهذه الدعوة أعباءها ، وإن لهذه المهمة تكاليفها : ((إنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً)) [المزمل:5] .
ولن يحمل هذه الدعوة ويصمد لها ويتغلب على عقبات طريقها ، ويصبر أجمل الصبر عليها ، ولن يعيش لها ويتحرك في دائرتها حركة المؤمن بها الواعي لتكاليفها ، إلا الرجال الأقوياء الأشداء ، وعندئذ تكون الأمة التي تنجب هؤلاء المؤمنين الأفذاذ ، والتي تأخذ هذا الكتاب بقوة ، وتلتزم بالتكاليف .. أمةً ذات رسالة سامية وهدف عالٍ ، تكافح وتجاهد من أجلهما : ((وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)) [الحج:143] ، وتكون هي الأمة القائدة الرائدة ، التي أناط الله تعالى بها مهمة الشهادة على الناس جميعاً ، فتقيم بينهم العدل والقسط ، وتضع لهم الموازين الربانية والقيم الثابتة .. هي الأمة العدل الوسط ، كما وصفها الله سبحانه وتعالى الذي حدد لها هذه الوظيفة فقال : ((وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)) [البقرة : 143] .
* وهذه الدعوة ، التي يوجهها الله تعالى لعباده المؤمنين ، دعوة إلى الحياة بكل صور الحياة ، وبكل معاني الحياة ولكنها ليست أيَّ حياة ، وإنما هي الحياة الكريمة العزيزة ، الحياة الحقيقية الكاملة ، التي يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات ، فإن هذه المخلوقات تحيا حياة بهيمية ، يتحرك فيها المخلوق بدافع من

بطنه أو فرجه ، فهو لا يعرف له غاية نبيلة يسعى إليها ، ولا رسالة يحيا من أجلها ، ويكافح في سبيلها ، فحسبُه دريهمات يملأ بها جيبه ، أو لقيمات تملأ معدته الفارغة ، وثياب تكسو جسده العاري ، وليكن بعد ذلك ما يكون ، فهو لا يسعى لأكثر من هذا !!.
إنها حياة القلب والعقل ، بالعقيدة التي تعمر القلب ، فتملأ كيان الإنسان نوراً وهداية : ((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الأنعام : 122] . ((اللَّهُ ولِيُّ الَذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [البقرة 257] .
وهي العقيدة التي تهدي العقل ، وتضبط حركته وعمله ، فتحميه من التيه والضياع ، وتحفظ عليه جهده وطاقته من التبدد ، عندما ترسم له منهج الفكر السليم ، وتحدد المجال الذي يمكن أن يرتاده العقل ويستطيع أن يعمل فيه ، ثم تحجب عنه ما لا يستطيع أن يفكر فيه أو أن يدركه ، وعندئذ تتجمع الطاقة العقلية لتعمل في مجالها المحدد فتستطيع أن تحقق الكثير من الإنجازات العظيمة في نطاق السنن الربانية في الكون والحياة الاجتماعية والحضارية وفي أحداث التاريخ وأيام الله (2) .
وإنها حياة للروح والجسد ، دون انفصام بينهما ولا صراع ، فما كان تعذيب الجسد-في شريعة الله - سبيلاً لرقي الروح وتزكيتها ، ما كانت العناية بالروح عاملاً يدفع المؤمن إلى ترك ما أحل الله للإنسان وتحريمه ، ولا حرمانه من حق الحياة الطيبة والزينة التي أخرجها الله لعباده : ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) [الأعراف : 32] ((وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ولا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إلَيْكَ)) [القصص : 77] .
وهذا ما علمه النبي ؛ -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه وقذفه في قلوبهم وعقولهم ، فكان درساً وتعليماً لا ينسى ؛ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي

-صلى الله عليه وسلم- يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم- ، قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر ؛ قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ؛ وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ؛ وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .
فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : »أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؛ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ؛ فمن رغب عن سُنتى فليس مني« (3).
ولن تتحقق هذه الحياة إلا بوحي الله سبحانه وتعالى : (وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ ولا الإيمَانُ ولَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وإنَّكَ لَتَهْدِي إلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ أَلا إلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ)) [الشورى:52-53] .
فقد سمى الله تعالى ما أنزل على رسوله روحاً؛ لتوقف الحياة الحقيقية عليه ، كما سمّاه، أيضاً ، نوراً ، لتوقف الهداية عليه ، فقال الله ، سبحانه وتعالى ، ((يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)) [المؤمن:151] ، كما سمّاه أيضاً شفاءً ، فقال : ((قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وشِفَاءٌ)) [فصلت : 44] .
وليس غريباً ، بعد هذا ، أن يجعل النبي ، -صلى الله عليه وسلم- هذا الإيمان والعقيدة التي جاء بها كالمطر الذي ينزل على الأرض الهامدة فيحييها :
عن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ، عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال : »مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضاً ، فكان منها نَقِيَّةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجَادِبُ أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصابت منها طائفة أخرى ، إنما هي قِيعَانٌ لا تُمسك ماء ، ولا تُنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعَلِمَ وعلَّمَ. ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلت به«(4) .

فهي إذن دعوة إلى العقيدة والإسلام والإيمان ، فقد أحياهم الله تعالى بالإسلام والإيمان بعد موتهم بالكفر .
وهي دعوة إلى الحق والقوة ، الحق الذي قامت عليه السموات والأرض ، إذ لم يخلقهما الله تعالى إلا بالحق:((ومَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ)) [إبراهيم:85] ، والكتاب الذي أنزله الله تعالى على خاتم أنبيائه ورسله ، -صلى الله عليه وسلم- هو الحق : ((والَّذِي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ هُوَ الحَقُّ)) [فاطر:31] ، وقد أنزله الله تعالى بالحق : ((نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)) [آل عمران:3] .
والشريعة التي أنزلها الله تعالى على رسوله هي حق وعدل ، أكملها الله تعالى وبثها في كافة الخلق :((هُوَ الَذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)) [الصف:9] ، وما أرسل الله تعالى رسله ولا أنزل كتبه إلا ليقوم الناس بالحق والقسط بين الناس : ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ والْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)) [الحديد:25] .
* وإذا كان الـحـق لابد له من قوة تحميه وتزيح العقبات من طريق حمله للناس وإبلاغه لهم ، على حد قول الفاروق عمر ، رضي الله عنه: إنه لا ينفع التكلم بحق لا نفاذ له .. فإن هذه الدعوة إلى الحياة ، هي دعوة إلى القوة والجهاد الذي أعزَّ الله تعالى به هذه الأمة بعد ذُل ، وقوّاها من بعد ضعف ، فقد حُملت راية الجهاد في سبيل الله ، لتقرير ألوهية الله تعالى في الأرض ، لينعم البشر بدين الله ، سبحانه وتعالى فيتحرروا في كل عبودية لغير الله ، إذ هم عبيد لله تعالى وحده ، وعندئذ تكتب لهم الحرية الحقيقية ، والعزة الكاملة ، فالجهاد هو طريق العزة والكرامة للأمة ، هو طريق الحياة الحقيقية .
وحتى عندما يموت المجاهدون ويستشهدون في سبيل هذه الدعوة ، لن يكونوا عند الله تعالى إلا في عداد الأحياء ، ولو كانوا في قبورهم ، ولهم من الرزق الطيب عند الله ما لا يقاس به رزق الدنيا كلها ، فهم الذين استجابوا لله والرسول : ((ولا تَحْسَبَنَّ الَذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ويَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ

يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وفَضْلٍ وأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ (171) الَذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ)) [آل عمران : 169 - 172] .

ولقد كان المسلمون يعيشون هذه الحقيقة بحسِّهم وشعورهم المرهف ، فالجهاد عندهم هو الحياة الحقيقية ، والأمثلة علي ذلك من الواقع التاريخي للمسلمين تعزُّ على الحصر ؛ فهذا هو الفاروق عمر ، رض الله عنه ، يرى غزو الروم بالشام ودعوة الصدِّيق رضي الله عنه ، إلى الجهاد دعوة للحياة الحقيقية الكريمة :

فقد جمع أبو بكر ، رضي الله عنه مستشاريه فاجتمعوا لديه ، وكان مما قاله لهم : وقد أردت أن أستنفركم إلى الروم بالشام ، ليؤيَّد الله المسلمين ، ويجعل الله كلمته العليا ، مع أن للمسلمين في ذلك الحظَّ الوافر ، فمن هلك هلك شهيداً ، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله ، عز وجل ، ثواب المجاهدين ..

فتكلم كل منهم ؛ عمر وعبد الرحمن بن عوف .. وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد ابن زيد والحاضرون .. واتفقوا مع أبي بكر رضي الله عنه على مبدأ فتح الشام .

وانفض الاجتماع ، وتام أبو بكر رضي الله عنه إلى الناس ، فحمد الله بما هو أهله ، ثم حثَّهم على الجهاد.. وسكت الناس ، فما أجابه أحدٌ هيبة لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عددهم وشدة شوكتهم . فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا معشر المسالمين مالكم لا تجيبون خليفة رسول الله إذا دعاكم لما يحييكم؟ .. أما إنه لو كان عَرضاً قريباً وسفراً قاصداً لابتدرتموه ! (6) .

وهـكـذا كـانـت كلـمـة ابن الخـطـاب تـخـرج من مشكاة قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)) .

* ثم هي الحياة الحقـيقـيـة فـي الجنة فالجنة هي دار الحيوان، هي الـــدار التي تفيض بالحياة الحقيقية والحيوية ، وفيها يتحدد

مصير الإنسان الأبدي ، بعد أن ينتقل من هذه الحياة الدنيا ، فالدار الآخرة هي المتاع الذي ينبغي أن يحرص عليه المرء ولا يرضى به بديلاً ، ولا يبغي عنه حولاً ، ولذلك ينبغي الاستعداد والتأهُّب لتلك النهاية التي يصير إليها المرء ، وعندئذ تنفتح أمامه آفاق سامية ، وآماد بعيدة ، ويرتفع إلى مستوى لائق بكرامته وإيمانه :
((ومَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَهْوٌ ولَعِبٌ وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)) [العنكبوت:64] .
وأما الذين يرفضون الاستجابة لله والرسول فإنهم يرفضون الحياة الكريمة اللائقة بالإنسان، فليس لهم إلا الدُّون ومصيرهم الهلاك، ومآلهم الدمار والبوار: ((أَلَمْ تَرَ إلَى الَذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وبِئْسَ القَرَارُ)) [إبراهيم:28-29] .
وما أعظم خسارة أولئك الذين آثروا الدنيا الفانية على الآخرة الباقية الدائمة ! وما أعظم ضلال أولئك الذين حصروا الوجود في هذا الذي تقع عليه حواسُّهم قريباً في الدنيا ، ويحسبون أن وجودهم محصور فيها فلا يعملون لغيرها :

خُلِق النّاسُ للبقاءِ فضلَّت أمّةٌ يحسبونهم للنَّفاد
إنما يُنقلون من دار أعمالٍ إلى دار شقوة أو رشاد!

* وكل ما ألمحنا إليه من معاني الحياة في هذه الآية الكريمة من الإيمان أو الحق أو الجهاد أو الجنة في الدار الآخرة.. كل هذه المعاني مرادة ومقصودة ، ولا اختلاف بينها ، وكلها عبارات عن حقيقة واحدة ، وهي : القيام بما جاء به الرسول ، -صلى الله عليه وسلم- ، ظاهراً وباطناً ، وما يظهر فيها من اختلاف إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضادّ(7).
يقول الإمام ابن القيم، رحمه الله: (والآية تتناول هذا كله ، فإن الإيمان والإسلام والقرآن والجهاد تحيي القلوب الحياة الطيبة . وكمال الحياة في الجنة والرسول داعٍ إلى الإيمان وإلى الجنة ، فهو داعٍ إلى الحياة في الدنيا والآخرة) (8).

وبعد ، يا أخي المسلم :

فهل تستجيب لهذه الدعوة الكريمة التي وجَّهها إليك رب العزة، جل جلاله؛ لتظفر بهذه الحياة الكريمة التي ألمحنا إلى

شيء مما تعنيه ، فتكون بسلوكك واستجابتك هذه مَعْلَماً من معالم الطريق..؟.
وإذا وُجِّهت إليك الدعوة ثانية ، فهل تستجيب لها؟.
إنك لست بالخيار .. إن أردت أن تكون مؤمناً .. فإما إيمان .. أو لا إيمان.. إما استجابة.. وإما إعراض..
ولــن يـكـون مـؤمـناً ذاك الذي يُعرض عن دعوة الله ، ولا يستجيب لها ، أو يجعلها دبر أذنــيــه ، فــإن الاستجابة لله وللرسول ،-صلى الله عليه وسلم- ، هي المحكُّ الحقيقي والمظهر العملي للإيمان :
((إنَّمَا كَانَ قَــوْلَ المُـؤْمِنِــينَ إذَا دُعُوا إلَى اللَّهِ ورَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا وأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)) [آل عمران : 169] .
((لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ولا أَمَانِيِّ أَهــْلِ الـكِـتَـابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ولا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِياً ولا نَصِيراً (123) ومَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ولا يُظْلَمُونَ نَقِيراً)) [النساء : 123 - 124] .
والمؤمن يستجيب لنداء الإيمان من فوره : ((رَبَّنَا إنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وكَفِّرْ عَــنَّــا سَــيِّـئَـاتِـنَا وتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وآتِنَا مَا وعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ ولا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ إنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَادَ)) [آل عمران : 192 - 193] .
ولذلك قال عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه : (إذا سـمـعـت الله تعالى يقول . يا أيها الذين آمنوا ! فأرْعِها سمعك ، فإنه إما خيرٌ تؤمر به ، وإما شرٌ تنهى عنه).

الهوامش:

1- انظر : الفوائد ، لابن القيم الجوزية : 115 - 116 ، طبع دار النفائس ، بيروت .
2- انظر بالتفصيل: خصائص التصور الإسلامي لسيد قطب : 54 - 68 ، 228 - 231، مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب : 531 وما بعدها ، التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان 102 - 107 ، دار الأرقم بالكويت .

3- أخرجه البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري في كتاب النكاح . انظر اللؤلؤ والمرجان : 1/324 - 325 ، طبع المكتبة الإسلامية بتركيا .
4- أخرجه البخاري في كتاب العلم ، واللفظ له ، ومسلم في كتاب الفضائل ، انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، محمد فؤاد عبد الباقي : 2/223 ، شرح السنة للبغوي : 1/287 - 288 .
5- انظر: منهج الإسلام في الحرب والسلام ، عثمان جمعة ضميرية ص 115 وما بعدها، دار الأرقم بالكويت .
6- الطريق إلى دمشق ، أحمد عادل كمال ص 162 - 166 ، وقد أشار إلى فتوح الشام للأردي وتاريخ دمشق لابن عساكر .
7- جاء عن السدي أن الحياة هي الإيمان ، وعن مجاهد : الحق ، وقال قتادة : القرآن، وعن عروة ابن الزبير وابن إسحاق ، وعن الجرجاني : الدار الآخرة ، انظر : تفسير الطبري : 9/213 - 214 طبعة الحلبي ، ابن كثير : 2/298 مكتبة الرياض ، الفوائد لابن القيم : 115 - 116 ، تفسير البغوي : 3/18 بهامش الخازن ، وعن تفسير التنوع والتضاد، انظر: مجموع الفتاوي ابن تيمية: 13/333، 337 مقدمة في أصول التفسير: 38 - 42 .
8- الفوائد لابن القيم : ص 116 .

إندونيسيا تضطهد المسلمين

لازالـت حـكـومة (سـوهارتو) تضطهد المسلمين، وتكيل لهم الإهانة تلو الأخرى، في الوقت الذي فـتـحـت فـيـه الأبـواب على مـصاريعها لكافة المنظمات التنصيرية، لتعمل على ردة المسلمين في البلد الذي يضم أكبر عدد من المسلمين في العالم.
وقـد جـاءت الأخـبـار في الآونـة الأخـيـرة تبين وجهاً آخر لحرب الحكومة ضد الإسلام، حـيـث صـرح المـسـؤولـون عن نية الحكومة في إلغاء التعليم الديني الأمر الذي أثار سخط المسلمين ونـقـمـتـهـم، وسرت موجة احتجاجات عـامـة، وهـاجـمـت نـقـابـة المـعـلـمـيـن الإندونيسية هذه التصريحات، ودعت إلى ترسيخ

التعليم الديني الذي هو أهم مادة بدلاً من إلغائه . كما أنكر ذلك أيضاً رئيس مجلس العلماء المسلمين الشيخ حسن بصري .
ولازالـت الـحـكـومة تـعـمـل بدأب لاستئصال الإسلام واستبداله بالدين الذي وضعه نظام سوهارتو والذي لا يبعد عن الماسـونـية . حيث يـنـص هذا الدين الجديد المسمى (باكسيلا) على خمسة مبادئ هي الإيمان برب واحد، الإنسانية، الوحدة الوطنية، الديموقراطية، والعدل الاجتماعي، وكان المسلمون المعارضون لـهـذا الدين الجديد قد قاموا بمظاهرات في سبتمبر عام 1984، وكان 30 شـخـصاً قـد قـتـلـوا عندما فتح جنود الحكومة النيران على تجـمـع أكـثـر من 1500 من المسلمين واعـتـقـل عدد كبير منهم ، تعرضوا لألوان شتى من الـتـعـذيب الوحشي الأمر الذي دعا منظمة (أمنستي) Amnesty لحـقـوق الإنـسان والتي مـقـرها لـنـدن تـوصـية نداء اسـتـغـاثـة إلى حكومة إندونيسيا، تناشدها فيه رفع الإهانات والتعذيب الوحشي عن المعتقلين المسلمين والذين يمنعون أيضاً من أداء الصلاة أو أي مظهر تعبدي ، وقد أجبروا على حلق رؤوسهم ، وناشدت المنظمة الحكومة الاستجابة لمطالبهم الإنسانية البسيطة كزيارة أقاربهم أو مقابلة أي أحد .

التجديد في الإسلام

تحدث الباحث - في المقال السابق - عن حديث المجدّد ، وتناوله من حيث الثبوت . ثم من حيث المعاني المستخرجة منه ، وعرض أقوال العلماء فيه باستفاضة وقبل أن يدلف إلى الترجيح بين الآراء قدم لذلك بحـديـثـين -كبُشْرَتَيْن لهذه الأمة - مر أولهما في آخر المقال السابق ، وهو حديث : لا تزال طائـفـــة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وفي هذا الجزء من البحث يتابع الكاتب دراسته لحديث المجدد، وللتجديد بشكل عام .
وقال الإمام الترمذي: (سمعت محمد بن إسماعيل يقول : سمعت علي ابن المـديني يقول: هم أهل الحديث)(1) وروى الحاكم عن الإمـام أحـمـد أنه قال : (إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟)(2).

قال الحافظ في الفتح (بسندٍ صحيح) (3).
قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث : (ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بيـن أنــواع المؤمنين ؛ منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهّاد ، وآمرون بـالمـعـــروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض) (4) ونقل ابن حجر كلام النووي ثم زاد في آخره: (ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد ، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض ، ويجـــوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً ، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله) (5) .
وثانيهما : قوله صلى الله عليه وسلم:" افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة،وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قيل : من هي يا رسول الله؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي: (6) وهذا الحديث وإن كان فيه بيان تفرق الأمة الواحدة إلى شيع شتـى ، إلا أن فـيـــه بيان حفظ الله لدينه بإقامة فرقة ناجية تلتزم بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعتقــادهـا وسلوكها وهذه الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة ، والله أعلم ، ولا نظن حديث المجدّد بمعزل عن مفهوم هذين الحديثين . فحين تستحكم الأهواء ، وتعبث بهذه الأمة الآراء ، فـتـفـتـــرقُ إلى هذه الفرق الكثيرة ، تكون الفرقة الناجية المنصورة هي القائمة بأمر الله في خضم هذه النزاعات والاضطرابات ، الملتزمة بمنهج الرسول -صلى الله عليه وسلم- في جميع أمورهــا . ولا شك أن كل طائفة متحزبةٍ على شيءٍ من الدين سوف تدَّعي -كما يدَّعي غيرها-أنها هي المقصودة في الأحاديث النبوية.

وكلٌّ يـدعـي وصـلاً بليلى وليلى لا تُقِرُّ لهم بوصل!

وليس من حقّ أحدٍ أن يتحكم فـيـدخـــل مــن شاء ضمن هذه الطائفة ، وينفي من شاء وفق رغبته وهواه ، بل يكون ذلك وفق ميزانٍ عـــدلٍ مـقـســـط ، وهو عرض حال المدَّعي على الصفات

النظرية والعملية التي وصف السلف الصالح بها هذه الفئة ، وهي :
1- موافقة اعتقاداتها لما كان عليه -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ، في أبواب العقيدة كلها :
من أسماء الله وصفاته ، والإيمان ، والقدر ، إلى غير ذلك مــن أصــول الاعـتـقـاد. وأسعد الـنــاس بـذلك هـــم الـذيــن يـؤمنون بالنصوص إيماناً صادقاً دون أن يسلطوا عليها سهام التحريف والتأويل والإنكار والتـضـعـيـف . ومــن أين يستطيع أحد أن يثبت أن الصحابة اعتقدوا بالأصول والنتائج التي اعتقدها المخالفون ممن أشربوا حب الكلام ، وجعلوا العقل الفلسفي حاكماً على النصوص ، ففسروا النصّ وفـــق ما يقتضيه ذلك العقل - في نظرهم - وإن أدى ذلك إلى أن يفهم من النص نقيض معناه . وليس بنا الآن حاجةٌ إلى نقل نصوص الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المهديين لأنها أكثر من أن يتسع لها المقام ، ولكن نحيل إلى بـعـض مواطنها لمن يريد(7).
2- اعتمادها في التفقه والاستنباط على الوحي المنزل ، أو عـلـــى مـا أحال عليه الوحي المنزل من الأدلة كالإجماع الثابت ، أو القياس الصحيح أو المصلحة الـــراجـحـــة التي لا تـعـــارض نـصــاً من النصوص . وأين من ذلك الذين نبذوا مفهومات النصوص ، وتشبثوا بأقوال الأئمة وقـدمـــوها على الوحي المنزل حتى قال قائلهم : (كل نص خالف ما قاله الأصحاب فهو إما منسوخ أو مؤول) . وليس يعنى هذا نبذ أقوال أهل العلم المعتبرين ونشر الفوضى بين المسلمين ، وفتح المجال للطلبة الصغار الذين لا يحسنون التلاوة ، فضلاً عن أن يعرفوا الناسخ والمنـســـوخ والخـاص والعام ، والمطلق والمقيد ليتولوا أمر الفُتيا فيَضِلّون ويُضلّون . كلا ، فالتقليد في بعض الحــالات يصبح (ضرورة) ، وهكذا نريد أن يعامل على أنه جائز ضرورة ، فمتى استغنى عنه الإنسان في أي مسألة تركه إلى الدليل .
3- ومن الخصائص المهمة لأهل الـسـنـــة -أهل الحديث كما يعبر البخاري وابن المديني وأحمد -رحمهم الله- : الحرص على العمل بالشرع والتزام الأوامر والنواهي .

ولقد تسرب إلى أذهان كثير من الناس أن كـلـمــــــة (أهل السنة) تعني المذهب الاعتقادي فحسب ، وذلك خطأ بيّن ، إن المعرفة الصحيحة باللـــــه التي يحرص عليها أهل السنة ليست هي المعرفة الذهنية الباردة ، بل هي المعرفة القلبية الحية التي ينتج عنها الخوف والرجاء والمراقبة والامتثال .
ولذا كان الأئمة السابقون حين يذكرون أهل السنة يعتبرون من خصائصهم المحافظة على المفروضات والسنن والمستحبات والأمر بالمعروف والنهي عـــن المـنـكـر وصلة الرحم وحب المساكين والإحسان إلى الجيران .
قال الإمام المحدث الشيخ أبو عثمان الصابوني المتوفي سنة 449 هـ فـي رسـالـــة (عقيدة السـلـــف وأصحاب الحديث) :
(. . ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات ويوجبون قراءة الفاتحة خلف الإمام ويأمرون بإتمام الـركوع والسجود حتماً واجباً ، ويعدون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما ، والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه وكذلك الارتفاع من السجود والجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها ويتواصون بقيام الليل للصلاة بـعـد المنام وبصلة الأرحام ، وإفشاء السلام ، وإطعام الطعام والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام والاهتمام بأمور المسلمين ، والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع ويتحابون في الدين ويـتـبـاغضون فيه . . . الخ) (8) وإلى هذا وذاك فأهل الحديث والسنة يحرصون على جمع الصـــف ووحدة الكلمة داخل هذا الإطار ، فهم ليسوا حزباً محدوداً ينفي من عداه بالهوى والتـحـكم ، ولكنهم رايةٌ عقدية أثرية من انطبقت عليه صفاتها وخصائصها فهو من هذه الفئة أقرّ له الآخرون بذلك أم لم يقرّوا.

استحالة أن يكون المجدّد من غير أهل السنة :

فهذه الفئة أو الطائفة الموعودة يستحيل أن يكون المجدّد من غيرها استحالةً تامة . إذ هي القائمة بأمر الله ، المتـبـعـة لشرعه

، السائرة على هدي نبيه حذو القذة بالقذة ، ومن ثم فهي المجدّدة لهذا الدين حـيـن كاد يَخلَقُ بغبرة الأهواء وظلمتها وهي الواقفة عند حدود الله حين تجارت الأهواء بأصحـابهـــا فلم يبق لهم من الدين إلا الانتساب ، فكيف يكون التجديد عمل غيرها ؟.
وقد يكون لهذه الطائفة رؤوس يمتازون بالموقف الصلب الثابت ، والعلم الواسع ، والعمل الدؤوب في بلدٍ واحدٍ ، أو في بلدان مـتـعـــدِّدة ، فرداً أو أفراداً وهؤلاء من التجديد أوفى نصيب ، ولكن يصحُّ أن يقال: إن لغيرهم مــن الـمـجـــاهــدين في هذا السبيل من التجديد بحسبهم . وهذا ما تلتقي عنده آراء عددٍ من الأئمة المحقـقـيـــن ، وهو ما ينسجم مع ما قررناه في حديثي الافتراق والطائفة المنصورة -السابقين- .
وسيأتي في سياق العرض التاريخي لحركة التجديد في الإســلام ما يكشف عن هذا ، وأنه إن جاز أن يكون المجدّد في القرن الأول فرداً ؛ فإن احتمال ذلـك أقـــل فيما بعد لأسباب منها : كثرة الشر والفساد ، واتساع مجالات الانحراف وطرقه وأسبابـــه ، واتساع رقعة الأمة وانتشارها ، وتناقص الخيرية في هذه الأمة حتى لم يعد يوجد الأفــراد المستجمعون لصفات المجدّد بحذافيرها ، بل هي مفرقة في عددٍ من فضلاء الأمة ونجبائها .
يقول الإمام الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد سياق الخلاف في الـمـجـــدّد: أفـرد أم جمـــاعـــة ؟ - : (ولكنّ الذي يتعين فيمن تأخر المحملُ على أكثر من الواحد؛ لأن في الحديث إشارة إلى أن المجدّد المذكور يكون تجديده عاماً في جميع أهل ذلك العصر ، وهذا ممكنٌ في حـــقّ عمر بن عبد العزيز جداً ، ثم في حق الشافعي . أما من جاء بعد ذلك ، فلا يعدم من يشاركه في ذلك) (9) .
وقال : (لا يلــزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحدٌ فقط ؛ بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة ، وهو متجهٌ ؛ فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوعٍ من أنواع الخير ، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخصٍ واحد ، إلا أن يدَّعي ذلك في عمر بن عبد العزيز فإنه كان القائم بالأمر على

رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير ، وتقدمه فيها ؛ ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه .
وأما من جاء بعده ؛ فالشافعي - وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة - إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد ، والحـكـــم بالعدل . فلعل هذا كل من كان متصفاً بشيءٍ من ذلك عند رأس المائة هو المراد ؛ سواء تعدَّد أم لا)(10) .
وإن لحظت في كلام ابن حـجـــــر في هذا شيئاً من الاختلاف عن كلامه ذاك فهو هنا أكثر قناعة بضرورة تعدد المجدّدين فـــي القــــرن الواحد ، حيث يعبر عن تسمية عمر بن عبد العزيز مجدّداً فرداً بقوله : (.. إلاّ أن يدَّعى ذلك في عمر..) ، وأما بالنسبة للشافعي فينفي ذلك عنه لعدم استجماعه للصفات كلها ، في حين أنه قال قبلُ : (وهذا ممكن في حقّ عمر بن عبد العزيز جداً ، ثم في حق الشافعي) ، فالأولى بالأخذ كلامه الأخير المنقول من الفتح ؛ لأن الفتح من أهم كتبه وأوثقها عنده وآثرها لديه ، ولتأخر الفراغ منه إلى سنة 842 هـ ، وهذا الكلام المنقول هو في آخر أبواب الكـتـاب ، على حين فرغ من تأليف كتابه الآخر (توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس) سنة 835هـ(11) ويـلـحـــظ أنه ألفَّه للثناء على الإمام الشافعي - رحمه الله - والإشادة به ، فاختلف موقعا الكلام .
وقـــال الإمـــــام الـذهـبــي : (من - هنا - للجمع ، لا للمفرد ، فنقول مثلاً : على رأس الثلاثمائة : ابن سُريجٍ في الفقه (12) والأشعري في الأصول ، والنسائي في الحديث . . . الخ) (13) .
وقال ابن الأثير : (لا يلـــــزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحداً وإنما قد يكون واحداً ، وقد يكون أكثر منه ؛ فإن لفظة (مَنْ) تقع على الواحد والجمع . وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعـــوث : الفقهاءَ خاصة - كما ذهب إليه بعض العلماء - فإن انتفاع الأمة بالفقهاء ، وإن كان نفعاً عاماً في أمور الدين ، فإنّ انتفاعهم بغيرهم أيضاً كثير مثل: أولي الأمر ، وأصحاب الحديث ، والقراء والوعاظ ، وأصحاب الطبقات من الزهاد؛ فـإن كـل قـومٍ ينفعون بفن لا يـنـفــــع بــــه الآخر ؛ إذ الأصل في حفظ الدين حفظ قانون السياسة، وبث العدل

والتناصف الذي به تحقن الدماء ، ويُتمكن من إقامة قوانين الشرع، وهذا وظيفة أولي الأمر . وكذلك أصحاب الحـديث ينفـعـون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع ، والقرّاء ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايــات ، والزهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا . فكل واحد ينفــع بغير ما ينفع به الآخر . . فإذا تحمل تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى ، وأبعد من التهمة ، وأثبه بالحكمة . . فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعــــةٍ من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة ، يجددون للناس دينهم ..) (14) .
وقال الحافظ ابن كثير : (وقد ذكر كل طائفة من العلماء : بل الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف كما جاء في الحديث من طرق مرسلةٍ وغير مرسلة : يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وهذا موجود ولله الحمد والمنة إلى زماننا هذا..)(15) .
ثم أشار إلى الحديث المخرج سابقاً : لا تزال طائفة من أمتي ظـاهــــرين على الحق . قال السهارنفوري نقلاً عن الشيخ محمد يحيى : (من يجدد لها دينها ، أي : نـوعـــاً منهم وأشـخـاصاً ، فلا يلزم أن يكون واحداً بالشخص ، وإن ذهب العلماء في معنى الحديث إلى الذي نفينا . ووجه ما ذهبنا إليه أنه لا ينطبق على كثير ممن لم تشرّف بالتجديد أن يكون جدّد كل نوع من أنواع الدين ، فكم من محدّث ليس له من تجديد الفقه نصيب ، وكم من باعثٍ عــلى أعمال حسنةٍ هو في نشر أقسام العلوم غريب . مع أنه لم يسمع أن أحداً من هؤلاء عمّ حديثُه وفقهه جملة الأقطار وتشرفت بتجديده - بحسب الظاهر - جملة القرى والأمصار . وأما ما قلنا فالأمر سهل . مع أن كلمة (مَنْ) ليست نصّاً في الشخص الواحد . . ولا يبعد أن يكون لكل مملكةٍ ، وبلدةٍ من معظم الممالك مجدّد على رأس مائة ..) (16) .
وهكذا تلتقي أقوال هؤلاء الأئمة مع ما ذكرناه عن الإمام النووي من قبل في شأن الطائفة المنصورة . وهذا من شأنه أن يجعل

كل مؤمن صادق الإيمان حريصاً على أن يقوم بدوره في عملية التجديد ، فالقضية لم تعد شخصاً يُنتظر كما يُنتظر المهدي أو عيسى بن مريم عليه السلام ، بل عدت واجباً منوطاً في عنق كل داعية مسلم .

معنى التجديد :

والتجديد يعني جعل الشيء جديداً ، فتجديد الدين يعني إعادة نضارته ورونقه وبهائه وإحياء ما اندرس من سننه ومعالمه ، ونشره بين الناس . وهذا اللفظ (التجديد) يؤكد أن التجديد الموعود لابد أن يكون على حين فترة من العلماء ، واضمحلال لشأن أهل الحق وحملة السنة ، فيبعث الله هؤلاء المجدّدين ليعيدوا للناس الثقة بدينهم ، ويعلموهم ما جهلوا من شأنه . وهكذا يبدو جلياً أن التجديد لا يعني بحال من الأحوال إضافة شيء جديدٍ إلى الدين ، كما أنه لا يعني بحالٍ من الأحوال اقتطاع شيء منه ونبذه . فهذا وذاك ليسا في الحقيقة تجديداً ، وإنما هو مسخٌ وتجريد .

ليس من التجديد :

1- فالـطـريـق الذي سلكه الفيلسوف الهندي (محمد إقبال) والنتائج التي توصل إليها في محاضراته:(تجديد الفكر الديني في الإسلام) ليست إلا تفسيراً كلياً للدين بمجموع مكوناته : الألوهية - النبوة - البعث - الجزاء . .. الخ . .هذا التفسير أو التصور الذي يلتقي في معـظـمـه مع مذهب الفلاسفة الاتحاديين الذين يـرون الخـلـق مـظـهراً يـتجلى فيه الخالق لـيــس تـجـديـداً للـعـقـيـدة (أو كما سمّاها: الفكر الإسلامي) ولكنه تجريد له من حقيقـته الإلهية، وإضفاء للفكرة الصوفية الفلسفية عليه .
والاتجاه العقلاني - عامة - الذي يحاول تفسير النصوص الشرعية وفق مقتضيات الفلسفة البشرية ، ويلوي عنق النص لياً ليتفق معها ليس تجديداً للدين ، لأن تجديد الدين يعنى تثبيت معالمه وعـقـائـده وأحكامه ليظهر تميزها واختلافها عما سواها من الأديان المحرفة المنسوخة أو من الآراء والفـلـسـفـــات القـاصرة ، وليس يعني إذابة تميزه وخلخلة بنائه لينسجم مع هذه أو تلك .

2 - والمنهج الإسلامي الذي اختطه بعض الــدعـــاة استجابة للضغوط الواقعية والمتغيرات الاجتماعية والدولية - كما زعموا - واقتنعوا بموجـبــه بـضــرورة استبعاد بعض القضايا الشرعية والعقدية المسلَّمة لدى الأمة وعلمائها منذ عصر الصحابة حتى اليوم .
ثم رأوا أنه لا يستقيم منهجهم إلا إذا هدموا الأسس التي بنيت عليها تلك القضايا ليتسنى لهم أن يتحركوا بحرية فرفعوا عقيرتهم بالمطالبة بتجديد هذه الأسـس وتـلـك الأصــول ؛ فــلابدّ - في نظرهم - من إعادة النظر في (أصول الفقه) و (أصول الحديث) و (علم الجرح والتعديـل) ، بــل مــن إعــادة النـظـر في العقائد الإسلامية . وإخضاعها للنظرة العقلية المعاصرة!.
إنها المدرسة العقلية تطلُّ من جديد ، وإن كانت لا تلتزم بذات الأصول التي تواضع عليها العقلانيون الأوائل . وليس ثمة اعتراض مــنا على ضرورة صياغة أصول الفقه مثلاً صياغة تلائم العصر ، أو تنقيح مسائله وقواعده على ضوء الأدلة من القرآن والسنة ، ولا اعتراض لنا على ضرورة كتابة أصول الحديث كـتـابــــة جديدة من حيث التوسُّع في موضوعاته ، ودراستها ، وترجيح بعضها على بعض بالأدلــــة الصحيحة ، مع مراعاة الأسلوب الجيد والإخراج الملائم .
ولا اعتراض لنا على ضرورة دراسة جوانب العقـيـــدة -كما هي عند السلف- وإخراجها للناس أو تغيير طريقة عرض بعض القضايا المتعلقة بـهـا ، وربط الدراسة العلمية بالأوضاع المستجدة كقضية الحكم أو الولاء - مثلاً .
ولا اعتراض لنا على ضرورة الدراسة الشرعية المتعمـقــة للقضايا البشرية الجديدة التي لم يتكلم فيها السلف -رحمهم الله- ؛ لأنها لم توجد في زمــانـهـــم فـلــم تـــدع الحاجة إلى الحديث عنها . كل هذا مما نطالب به ونعتبره من صميم عملنا في خدمة هـذا الدين . لكن أن يتحول الأمر إلى (تغيير) لشيء نعتقد أنه (جزء) من الدين فهذا ما لا نرتـضـيـــه ، بل نعتبره تعدياً لحدود الله ، وخللاً خطيراً في (الاستسلام) الذي هو روح الإسلام .

وقديماً قال بعض السلف : (إن قدم الإسلام لا تثبت إلى على قنطرة التسليم) (17) .
فالتجديد المقصود المنشود ليس تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهوائهم ، ولكنه تغيير للمفهومات المترسبة في أذهان الناس عن الدين ، ورسم للصـــورة الصحيحة الواضحة ، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين .
إن أي حركة تستهدف تغيير معالم الدين تكون في حقيقتها هدماً له وقضاء عليه ، وإن بدا أنها تدعو إليه ، أو تحقق له بعض المكاسب الآنية .
ونـلـحــظ فـي كـلمتي (الأمة) و(دينها) أن الأصل فيهما العموم والشمول ، فهذه الحركة التجديدية التي تـقـــوم عـبر التاريخ الإسلامي في كل وقت يضعف فيه الخير وينكمش ، تستهدف إصلاح الأمة بكاملها في جميع أقطارها على كافة مستوياتها ، فهي ليست حركة إقليمية محدودة تقف عند بلد معين لا تتعداه أهدافها وطموحاتها ، وليست مقصورة على فئة معينة من الفئات التي تكوّن المجتمع ؛ بل تخاطب الشاب والشيخ والعامل والموظف والقريب والبعيد والرجل والمرأة تخاطب كل فئة على قدر ما تحتمله عقولها ، وبالأسلوب الذي يناسبها ، فالإسلام لم ينزل ليكون ديناً لفئة خاصة من العقلاء الأذكياء مثلاً ! كلا ، بل الإسلام إنقاذ للبشرية - كلها - من ظلمات الكفر بأنواعه في الدنيا ، ومن ظلمات النار والسعير يوم القيامة. وقد آن الأوان أن يعقل المسلمون والدعاة إلى الله خاصة - هذا المعنى فلا يحجبون الخير عن سائر فئات الناس ممن يتطلعون إلى الهداية ويتقبلونها ، ولو كانت استجابتهم تقف عن حد معين .
إن مجرد هداية فرد إلى الله تـعـــالى ، ووصله بحبل الله المتين ، وإنقاذه من الكفر والشرك يعد هدفاً بذاته ومكسباً عظيماً للداعي والمدعو ، حتى لو وقف الأمر عند هذا القدر . فكيف إذا أصبح هذا المدعو يحمل الدين الصحيح لمن حوله بحماس أو بغير حماس؟! وقد آن الأوان أن يتحرك الدعاة الصادقـــون إلـى مـيدان عملهم الأصيل : (الأمة) الأمة التي عبثت بها أيدي

المفسدين من : اليهود والنصارى والـشـيــوعيـيــن والمخرفين من الصوفية والرافضة والمعتزلة وغيرهم. هذا على صعيد (الأمة) الممتد الفسيح .

مجالات التجديد :

وحين نلحظ بجوار ذلك الكلمة الأخرى : (من يجدد لها دينها) نجدها تفتح أمام الدعاة آفاقا جديدة في طبيعة التجديد ونوعه. إن هذا التجديد (للأمة) لا ينحصر في مجال واحد فحسب ، بل يمتد امتداداً آخر ليشمل تجديد الدين كله: فيشمل :

أولاً : التجديد في مجال العقيدة :

وهيهات أن يكون التجديد يعنى إضافة شيء آخر إلى العقيدة الربانية ، كلا بل التجديد هــو تخليص العقيدة من هذه الإضافات البشرية لتصبح نقية صافية ليس فيها أثر لصنع البشر وآرائهم وفلسفاتهم. ولتفهم بالبساطة والوضوح التي فهمها سلف هذه الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فأول خطوة في مجال التجديد العقدي هو تنقية العقيدة الإسلامية من آثار علم الكلام ومن جميع ما علق بها.

ومـــن التجديد في مجال العقيدة ربط آثارها الواقعية بها ، فلا يكفى أن يؤمن المرء بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله على مقتضى ما يدين به أهل السنة إيماناً عقلانياً جافاً ، بل لابد من العمل على إحياء الآثار القلبية النابعة من صدق الإيمان .

لابد أن تطرق المعاني الباطنة التي هي جزء لا يتجزأ من العقيدة والإيمان : عمل القلب ، وعمل القلب هو الحب والبغض والخوف والرجاء والرغبة والرهبة والإنابة والخشوع . ولقد غفل الناس عن هذه المعاني - حتى العلماء - إلا من رحم الله - فطال الأمد ، وقست القلوب ، وصار الحديث عن صحة القلب ومرضه وعلاجه ، وعن المعاني الإيمانية القلبية وقـفـــاً على الصوفية الذين أسرفوا وغلوا حتى عبدوا ذواتهم ومشايخهم ، فضلوا وأضلوا كثيراً عن سواء السبيل . ولقد كان أئمة السلف نماذج حية في صدق اللجأ إلى الله ، وعمق الصلة به ، ويقظة الضمير وحساسيته من جراء ذلك ، وأوفى الناس حظاً من ذلك صحابة رســول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم التابعون لهم بإحسان ، ثم العلماء العاملون

على مدار القرون . ومن يتأمل سيرهم وأحوالهم يجد ذلك الشيء العجيب الغريب.
إن مـــن واجب الحركة التجديدية أن تولي هذه القضية عناية كبيرة ، فهي الأثر العملي المباشر للتصــديـق بالعقيدة . ولذا نجد أن الله تعالى بعد ما أثنى على المؤمنين بتصديقهم بيوم الدين ، اتبع ذلك بذكر إشفاقهم من عذاب الله ، فقال سبحانه : ((والَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * والَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ))
[المعارج].
وإن معالجة الانحـــــراف الظاهر على كافة المستويات لا تستقيم إلا إذا صاحبها معالجة الانحراف الباطني؛ فما من فساد ظاهر إلا وله رصيده من الفساد الباطني ولا يحصل تغير الظاهر إلا بتغير الباطن .
وإن توجيه الناس لالتزام الأوامر واجتناب المناهي لا يستقيم إلا إذا صاحبه تربية للضمير وإحياء للمشاعر القلـبـيـــة الصـادقــة التي تقف كالحارس اليقظ الساهر الذي يمنع تسلل الضعف أو التقصير . فهذا على ما وصـفـنـــاه من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولكن طرح مثل هذه الموضوعات لا يحسـنـه كل أحد ، ولا يفلح فيه ويثمر إلا من كان يتكلم عن وجدٍ وانفعال ، أما عملية (التكلف) فلا تجدي شيئاً .
إن على الداعية الصادق أن يتعاهد قلبه ، ويحرك أشواقه ليكون لكلامه التأثير المطلوب. ومن التجديد المطلوب في مجال العقيدة : عرض الانحرافات الجوهرية التي تعيش اليوم بين المسلمين مما له تعلق بجوانب الاعتقاد ، مع بيان خطرها وتأثيرها ، والتحذير منها.
فالحديث عن موالاة الكافرين وحكمها وتأثيرها علـــى النفوس ، والخطر الزاحف بسببها سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع ، والتـركـيـــز على ضرورة استقلال الأمة المسلمة وتميزها ، واستعلائها بإيمانها وشريعتها على الأوضاع والعقائد والنظم الجاهلية .

هذا الحديث وربطه بقضية العقيدة أصبح مطلباً مُلِحاً مع لحوق كثير من المنسوبين إلى هذا الدين بمعسكرات الكفر ، ومع ربط كثير من الأمم المسلمة مصيرها بالكافرين ، ومع الولاء السافر المكشوف الذي يعطيه الحاكمون لأعداء الله ، ومع الانفتاح الرهيب للمسلمين على المجتمعات والشعوب الوثنية والنصرانية و غيرها .
والحديث عن قضية الحكم بغير ما أنزل الله ، وحكمه ، وضرورة رد الأمور كلها إلى شرع اللـه لأن هذا هو مقتضى الإسلام والتسليم ، وشرط الإيمان الذي لا يكون إلا به . وتربية الأفــراد والمجتمعات على الولاء لشريعة الإسلام ، والحذر من تنقصها أو اعتقاد أفضلية غيرهــا ، أو مساواته لها ، أو جواز الحكم بغيرها ، بحيث يصبح الإيمان المطلق بشريعة الله قناعة راسخة لدى كل مسلم ، حتى لو فرضت عليه النظم البشرية الجاهلية .
كـــل ذلـك أصبح طرقه والتركيز عليه ضرورة مع سيطرة القانون الوضعي على المسلمين من جهة ، ومع انتشار الأفكار المشككة في الإسلام وصلاحيته للبقاء والحكم من جهة ثانية .
ومثل هذا وذاك التركيز على توحيد العبادة خاصة في البلاد التي جهل الناس فيها معنى الألوهية وصرفوا العبادة للشيوخ والأولياء وقدسوا الأضرحة أكثر من تقديس المساجد! ، وبالجـمـلـــة فــالتأكيد على أمر من أمور العقيدة لا يعني أن هذا الأمر أخطر من غيره من القضايا التي لم يـعـــنَ بـهـــا بنـفــس القدر ؛ لأن الدعوة إلى الله تهتم بمعالجة جوانب الانحراف ، وحيثما اتسعت دائرة الانحراف في مجال كانت الحكمة في التركيز عليه - مع عدم إهمال ماعداه .
ويشمل التجديد (ثانياً) : التجديد في مجال النظر والاستدلال ، وإحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية كلها دراسة مبنية على الدليل الشرعي الصحيح بعيداً عن عصبية المذاهب . فلسنا نعتقد أن الحق محصور في مذهب بعينه لا يخرج عنه بحال ، ولذا فالبحث عن الحق هو ضالة المسلم المنشودة ، أنى وجده سَعِد به وقبله غير ناظر إلى هذه الحواجز المذهبية .
ولضمان سير منهج التفقه والاستنباط سيراً سليماً بعيداً عن

الانحراف أو الفوضى التشريعية فــلا بـــد من صياغة المنهج السليم للتفقه من خلال استقراء طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .
ويشمل التجديد (ثالثاً) : التجديد في السلوك الـفـــردي والاجتماعي بالعمل على صياغة حياة المسلمين بتفصيلاتها صياغة إسلامية شرعية ، والإفادة من المعاني الوجدانية التلبية التي يفترض أنها بدأت تستيقظ في النفوس ، بربط الأحكام التفصيلية بها .
إن الانحراف السلوكي في حياة المسلمين المؤمنين حقاً بهذا الدين يرجع إلى أحد سببين:
1- إما الجهل بحكم الله ورسوله في هذه المسألة .
2- وإما ضعف الإيمان وضعف الإرادة بحيث تـغـلــب الإنسـان شهوته ، أو تغلبه ظروفه فيقع في المحظور . فمعالجة الجهل هي بالتعليم والتفهيم وربط الناس بالنصوص الشرعية ، ومعالجة الضعف الداخلي هي بمخاطبة القلوب والتأثير عليها .
ومما نلحظه في واقع المقصدين للوعظ والتعليم اليوم أن كثيراً منـهــم يعني بذكر الله واليوم الآخر والجنة والنار وعذاب القبر والموت وسكراته . وبغض النظر عن فشل الأسلوب الذي يستخدمه أكثر هؤلاء ، وعدم قدرتهم على التسلل اللطيف إلى قلوب السامعين ؛ فإن الخطأ الذي نشير إليه هو أنهم لا يربطون المعاني التي أثاروها بقضايا سلــوكية واقعية يجب أن تعالج .
وفئة أخرى . من أهل الفقه تُعني ببيان الحلال والحرام وسائر الأحـكـــام ، وبغض النظر عما يلاحظ عليها في منهجها ونتائجها ووسائلها ؛ فإن الأمر الذي نلحـظـه الآن هو عدم ربط هذه الأحكام بأصولها الإيمانية التي تدعو إلى العمل بها وامتثالها .
وأنت حـين تتأمل طريقة القرآن والسنة تجد أنه في الفترة المدنية حيث تـتـابـــع نـــزول الأحكام التـفـصـيـلـيـــة المنظمة لحياة المسلمين ، أصبح الحديث عن الحكم مرتبطاً بإثارة العقيدة ، وأصبح الكلام في العقيدة مستمراً في التحريض على امتثال الحكم ، ولذلك تذيل الآيات ببيان صفة من صفات الله كالعلم والحكمة والعفو والمغفرة والانتقام وشدة العقاب.. أو تتبع آيات

الأحكام بآيات أخر تُرغِّب في عفو الله ورضوانه والجنة ، وتحذر من سخطه والنار .
وإذا أحسن الداعية سلوك هذا الطريق فسيجد فيه خيراً كثيراً ، وسيلمس آثاره الواضحة عن قريب .
ويشمل التجديد (رابعاً) : فضح المناهج والاتجاهات والأوضاع والمبادئ والسبل المخالفة للإسلام ليحيى من حي عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة . ولقد كان من مهمة الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه كشف طريق الضلال لئلا يلتبس بطريق الحق . فكان النبي يقول : ((فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ * ولا تُطِيعُوا أَمْرَ المُسْرِفِينَ * الَذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ولا يُصْلِحُونَ)) [الشعراء:150 - 152] . واستبانة سبيل المجرمين هي من مقاصد القرآن : ((وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَــاتِ ولِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ))[الأنعام : 55] . فمن مهمات الدعوة الإسلامية على مدى الـــزمن أن تزيل أي التباس أو غموض قد يصيب الناس ، فيلبسون المنافق ثوب المؤمن الصـادق ، أو يلبسون المبتدع الضال ثوب المتبع المهتدي .

الهوامش :

1- ذكره الترمذي في موضعين من سننه ، الأول في 4/485 كتاب الفتن ، والثاني في 4/504 نفس الكتاب.
2- معرفة علوم الحديث ص2 نشرة : معظم حسين.
3- فتح الباري : ج 13 ص 295 .
4- شرح النووي على مسلم في كتاب الإمارة ج 13 ص 66 .
5- فتح الباري ج 13 ص 295 .
6- الحديث ورد من طرق كثيرة عن عدد من الصحابة بألفاظ مختلفة ، منهم أبو هريرة ، ومعاوية ابن أبي سفيان ، وعبد الله بن عمرو ، وعوف بن مالك ، وأنس ، وأبو معاوية ، وأبو الدرداء وواثلة بـــن الأسـقـــع ، وابن مسعود ، وسعد بن أبي وقاص .
وهذه مواضع أحاديثهم على الإجمال:
أبو داود: 34 - كتاب السنة ، 1 - باب شرح السنة ، رقم 4596 ، 4597 ج 5ص 4 .

الترمذي : 41 - كتاب الإيمان ، 18 - باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، رقم 2640 ، 2641 ج 5 ص 25-26 .
ابن ماجة : 36 - كتاب الفتن ، 17 - باب افتراق الأمم ، رقم 3991 - 3993 ج 2 ص 1321.
أحمد : ج 2 ص332 ، ج 4 ص 102 ، ج 3 ص 120 ، ص 145.
الحاكم في المستدرك في كتاب العلم ج 1 ص 128 ، وقال : صحيح على شرط مسلم و ج 2 ص480 وقال : صحيح الإسناد ، وقـــال : هــذه الأسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح الحديث .
الدارمي : 17 - كتاب السير ، 75 - باب في افتراق هذه الأمة ، رقم 2521 ج 2 ص 158.
الطبراني في الكبير : ج 8 ص 327 رقم 8051 ، و : ص 178 ، رقم 7659 ، و : ص 321 رقم 8035 ، ج 10 ص 271 - 272 ، رقم 211 -212.
وفى الصغير ج 1 ، ص 224 .
الآجري في الشريعة ص 15 - 18 ، وابن أبي عاصم في شرح السنة ج 1 ص 32-35 .
واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ج1 ص 101 ، 100 ? 102 ?
والطبري ج 27 ص 239 ورواه ابن أبي حاتم والحارث بن أبي أسامة وغيرهم .
7 - انظر أقوالهم في :
1 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي ج 1 ص 151 - 186 ، ج 2 ص 227 - 230 .
2 - العلو للعلي الغفار للأمام الذهبي ، ومختصره . للألباني .
3 - مجموع (عقائد السلف) جمع: على سامي النشار ، عمار الطالبي .
4 - الشرح والإبانة لابن بطة .
5-البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي .
6 - كتب : (السنة) لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وابن أبى عاصم ، والمروزي ..
8 - ضمن الرسائل المنيرية ج 1 ص 131 .
9 - توالي التأسيس ص 24 ب ، 25 اً .

10 - الفتح ج 13 ص 295 .
11 -انظر : توالي التأسيس ، الصفحة الأولى ، وكـتـاب : ابن حجر العسقلاني للدكتور شاكر محمود ج1 ، ص 264 و ص 306 ، و ص 561.
12 - في الأصل : ابن شريح بالشبن المعجمة والحـــاء المهملة وكذلك : رد في مسقدرك الحاكم وفي الغيث المنسجم ج1 ، ص 105 ، والصواب ما أثبتناه ، انظر : وفيات الأعيان 66/1 - 67 .
13- فيض القدير ج1 ص11 .
14- جامع الأصول ج11 ص320 - 324.
15- البداية والنهاية 6/89 مكتبة الفلاح بالرياض .
والحديث رواه ابن عدي في الكامل (المقدمة ص 190 ، 232-233) والعقيلي في الضعفاء في المقدمة ج1 ، ص9 ، وفى ترجمة معان بن رفاعة الســـلامي ج 4 ص256 رقم 1854 دار الكتب العلمية ، والخطيب البغدادي في الجامع ، ج 1 ص 128 - 129 ط مكتبة المعارف بالرياض .
ونسبه الهيثمي في المجموع إلى البزار (ج1 ص140) ونسـبـــه الخطيب التبريزي للبيهقي
(ج 1 ص 82) والإمام أحمد والعلائي ، وضعفه الأكثرون مـــن منهم العقيلي ، والعراقي (التقييد والإيضاح ص 138 - 139) والهيثمي في المجمع وغيره . وانظر أيضاً التمهيد ج1 ص 59-60 والبداية والنهاية ج 10 ص 381 ..
16- بذل المجهود ج 17 ص 202 - 204 ط دار الكتب العلمية .
17- رسالة (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) للأمام الصابوني ، ضمن مجموعة رسائل المنيرية ج1 ص 120 .

شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

التغلغل اليهودي في القارة الأفريقية

أدانت معظم دول العالم إسرائيل بعد عدوانها على الدول العربية عام 1967 وقطعت معظم هذه الدول علاقاتها مع إسرائيل ، أو جمدتها ، ومن هذه الدول الدول الأفريقية - ماعدا جنوب أفريقيا العنصرية - وخسر اليهود مواقعهم التي أقاموها في هذه القارة ،

ولكن ذلك لم يدفعهم إلى اليـأس، وإنـمـا إلى زيـــادة في بذل الجهد للعودة ثانية إلى هذه القارة التي تتمتع بمميزات مهمة .
فهي - من جهة - قارة غنية بالموارد الطبيعية ، كالمعادن ، والغابات ، وهي - من جهة ثانية - ذات موقع نموذجي بالنسبة لإســرائــيــل في قربها وسهولة الوصول إليه ، بحراً وجواً - بل وبراً الآن ! .
وهي - من جهة ثالثة - سوق مفتوحة ، لأنها بحاجة إلى كل شيء : للخبرات الطبية ، والزراعية، والبحوث العلمية، وقبل كل ذلك وبعده ، فإن حكوماتها الدكتاتورية القمعية التي قامت، وتقوم، على إنهاك شعوبها، بحاجة إلى من يقدم لها المشورات الاستخبارية، والمعونات العسكرية، التي تستطيع - عن طريقها وبواسطتها - تدجين شعوبها ، وسوقها وتــوجـيـهها الوجهة التي تريد، وكذلك فإن الواقع الأفريقي وما يمتلئ به من مناحرات ومـشـاحـنـات بين دولها يشكل أفضل مناخ بالنسبة لإسرائيل لتستفيد منه أعظم استفادة، فأي جو يناسب اليهود أفضل من هذا الجو ؟! .
ولاشك أن من أكبر العوامل المساعدة لإسرائيل على عودتها إلى أفريقيا كان الظروف التي أعقبت حرب 1973 .
فمع أن هذه الحرب قدمت للعالم الدليل على أسطورة (الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر) الا أن ما أعـقـبـهـا من تطورات جعل إسرائيل تستفيد منها فوائد عظيمة ومن هذه الفوائد عودتها إلى أفريقيا.
فـقـد قـدم تـصـالـح بعض العرب مع اليهود، والتردد والفوضى والاضطراب الذي ما زال مستمراً إلى الآن عند البعض الآخر، الحجة القوية للدول الأفريقية التي أعادت علاقاتها مـع إسـرائـيـل، حـتى إن اليهود وأصـدقـائـهـم من الأفارقة ليرفعون أصواتهم في المحافل الدولية فيُسمَع لهم، بينما تذهب الاعتراضات والاستنكارات التي لا تستند إلى شيء عملي أدراج الرياح، كصرخة في واد أو نفخةٍ في رماد .
عادت العلاقات أولاً مع ليبريا ، وزائير ، وساحل العاج ، وأخيراً ، الكاميرون .

* فـفـي لـيـبـريا، يـبـدو الاسـتـغـلال اليهودي واضحاً، فمثلاً: شركة (أيونا الدولية) الإسرائيلية فازت بحق استغلال مساحات. شاسعة من غابات البلاد لفترة 37 سنة !! وأسهمها الآن في بورصة نيويورك .

* وفي زائير، حيث (موبوتو) أشد المتحمسين لليهود، تقدم له إسرائيل خدمات عسكرية متنوعة، بالإضافة إلى مـشـاريــع خاصة له، حيث تولى اليهود إنشاء مزرعة خاصة له في (نسيليه) ويتولون أيضاً مسؤولية مزرعة أخرى (أغريدين) .

ومن جهة أخرى، التزم رجل أعمال يهودي (من أصل يمني) توظيف (400) مليون دولار في مجال تربية المواشي والنقل، ولازالت هناك مشاريع كثيرة ربما ستتم بعد زيارة الرئيس الزائيري (موبوتو) لإسرائيل.

* وفي ساحل العاج، حيث لا يخفي رئيسها عداءه للعرب ، يعمل اليهود بجد خصوصاً بعد عودة العلاقات مع إسرائيل قبل تسعة أشهر. فمثلاً: قام مشروع لبناء مستشفى في قرية الرئيس كلف نصف موازنة وزارة الـصـحـة في ساحل العاج، ونفذته شركة (سوليل نونيه) الإسرائيلية ، وكذلك فندق (إيغوار) في العاصمة أبيدجان .

* وفي الكاميرون، سبق إعادة العلاقات بينها وبين إسرائيل اتصالات بين الجانبين، فبعد محاولة انـقـلاب ضـد الرئـيـس (بول بيا) عام 1984، أقام غرفة عمليات أمنية لحمايته، يقوم عليها خبراء من الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (الموساد) .

وقد شكلت كارثة (نيوس)، التي نـتـج عـنـهـا ضـحـايـا بالمئات من جراء الغازات السامة المنبعثة من بحيرة (نيوس) البركانية، فرصة ذهبية أخرى لإسرائيل، ففي أثناء ذلك توجه رئـيـس وزراء الـعـدو إلى (ياونـدي) عاصـمـة الـكـامـيرون مصطحباً معه فريقاً طبياً لمعالجة المصابين، وقد أعد الرئيس الكاميروني استقبالاً حافلاً لبيريز .

هـذا عـلـى رغـم ما كان يعلنه وزير خارجية الكاميرون (وليم ايتيكي مبومرا) من أن: (لا بحث في إعادة العلاقات مع إسرائيل، طالما أن علاقات إسرائيل مع بريتوريا على ما هي عليه) ! .

وانفرطت المسبحة ..
لا يقتصر الأمر على الدول المـذكـورة، وانما هناك دول تتهيأ لإعادة العلاقات مع اليهود رسمياً ، وإن كانت علاقة إسرائيل! مع هذه الدول على المستوى الاقتصادي لم تنقطع .
ومن هذه الدول :
* نيجيريا، فـفـي هـذه الـدولـة - ذات الأغـلـبـيـة المـسـلـمة - تقوم مؤسسات اقتصادية إسرائيلية عديدة ، فهذه مجموعة (أليسون) تفوز بعقود عديدة مع نيجيريا قبل الانقلاب الأخير ، وشركة أخرى لليهودي (غاوون) تفوز بعقد آخر في (لاغوس) بمبلغ (60) مليون دولار، ومؤسسات أخرى تعمل هناك مثل مؤسسة (عايدا) للتجارة الدولية ، و(ديزنغوف) للنقل البحري، و(فيريد) لتمديدات المياه .
وتعامل وتعاون إسرائيل مع الحبشة (أثيوبيا) يعرفه القاصي والداني، فقد أقامت هناك مزارع لتربية المواشي، وتستطيع توفير كميات ضخمة من اللحوم المذبوحة على الطريقة اليهودية (كوشر)، وهي أيضاً تبيع البن الأثيوبي والأخشاب الاستوائية والعديد من المواد الأولية، والمنتجات الزراعية .
وقصة يهود (الفلاشا) وحدها تضع أثيوبيا في رأس قائمة الدول التي عرفت بالعداء للعرب والحق على المسلمين .
وهـنـاك أربـع دول أخـرى يـتـوقـع أن تـنـضـم إلى ركب الدول التي أعادت علاقاتها مع إسرائيل، وهي: توغو والغابون، وغينيا، وأفريقيا الوسطى، وكينيا .
وفي الوقت الذي تفـك إسرائيل فيه عزلتها عن طريق عودتها إلى أفريقيا، تعمل على محور آخر فتعيد علاقاتها مع أصدقاء العرب الخلّص!! دول المعسكر الشرقي فهاهي بولندة تعيد علاقاتها معها، وهناك اتصالات سرية وعلنية مع الاتحاد السوفييتي من أجل ذلك أيضاً، وإذا ما عادت العلاقة مع السوفيت - وهي عائدة حتماً ، رغم تــعـثـر المحادثات نتيجة للشروط الفوقية التي تمليها إسرائيل وليس الاتـحـاد الـسـوفـيـيـتي - نقول: إذا ما عادت العلاقات مع السوفييت ، فما الذي يمنع دول (المنظومة الاشتراكية الصديقة!) من الاقتداء برئيستهم روسيا ؟! .

نكتب هذا الكلام لا لبثّ اليأس في النفوس ، وليس لإظهار مميزات من يسمون أنفسهم - كذباً وزوراً - بشعب الله المختار ؛ وإنما رجاء أن نتعلم من الزمان ، ونعتبر بأحداثه ، ولا مانع أن يتعلم الإنسان من عدوه ، واليهود هم اليهود ، ((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المَسْكَنَةُ)) [آل عمران 112] . وحالنا معهم في استضعافنا، والاستهانة بنا، ودوس حقوقنا، والتنكيل المتواصل بنا على كل صعيد ، - عسكرياً واقتصادياً وإعلامياً - وتشويه صورتنا على مرأى منا ، ومرأى من العالم ومسمع - لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بتخبطنا وفرقـتـنـا ، وبأسنا الشديد بيننا، ومحاولة الأقوياء الذين سُلِّطوا علينا - بظلمنا ومعاصينا - طمسَ ذاتنا وعنوانِ وجــودنـــا الحسي والمعنوي . فهل نعي نحن - عرباً ومسلمين - الدرس من ذلك ، وهل نلتقي على الحد الأدنى مــن حقنا ونعي دورنا في العالم ، ورسالتنا فيه مقابل التقاء أعدائنا بشتى ألوانهم وأشكالــهـم على الباطل ؟.

الحضارة المعاصرة ... الوجه الآخر

[... والرسالة روح العالم ونوره وحياته ، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟! والدنيا مظلمة ملعونة ، إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة].

ابن تيمية

نـعـرض في هـذا القـسـم من المـجـلة لأحداث وأخبار هي من إفرازات هذه الحضارة المادية الـتي يـراد لها أن تهـيـمـن على الـعـالـم وتسـخـره لمفاهـيـمها ومعطياتها وذلك كي يعرف المخدوعون بهذه الحضارة، والذين يدعوننا إلى تقليدها والأخذ بها (خيرها وشرها وحلوها ومرها !!) أن لها جوانب مأساوية، وتكاليف قاسية .

إننا لـسـنا ضـد الـعـلم، أو الـتـقـدم الذي يسخر لراحة الإنسانية، فالعلم هو نتاج البشرية كلها، وكل الأفكار والاكـتـشـافـات

والاخـتراعات هي نتيجة جهود متراكمة شارك فيها البشر جميعاً، على اختلاف مللهم وألوانهم وأجناسـهم، ونحن - من جهة أخرى - لسنا ضد ما قدمت الحضارة المعاصرة من خدمات للبشرية، ولا نبخس الـناس أشـيائهم فـنزري عليهم بما تفوقوا به علينا من معرفتهم للنظام والتخطيط، ومن تقديرهم لقيمة الوقت، ومن صبرهم ودأبهم على طلب المعرفة .. ولكننا نبرز هنا كيف أن أي حضارة إذا ابتعدت عن المنهج الإلهي تكون بمثابة المركبة التي تسير دون كوابح - فهي وإن بدت مسرعة - إلا أن النهاية الحتمية سوف تدركها .

وكذلـك فإن الـغـرض مـن هذا الـبـاب هـو الإشـارة إلى أن الحـضـارة التي تجعل كل همها الانـصـراف إلى الجانـب المادي وتهـمـل الجوانب الأخرى التي استحق بها الإنسان صفة »الإنسانية« تكون بمثابة الطائر الذكي يطير بجناح واحد .

إن الحضارة المعاصرة في جذورها تمتد إلى فكر اليونان والرومان الوثني فترضع منه تصورها للحياة ، وطريقة تناولها للواقع والتعامل معه ، وإن المسيحية المحرفة لم تغير من النظرة الوثنية إلى الكون والأشياء ، التي تصبغ فكر هذه الحضارة ، بل إن الفكر الوثني هو الذي هيمن على المسيحية التي اعتنقتها أوربا وبسط ظله عليها ودخل بتفسيراته وتأويلاته ، وتحريفاته إلى أخص خصائصها حتى مسخها وجعلها تتعايش معه .

وكل ما نـراه من نـتـاج هـذه الحـضـارة على المسـتـوى الأخلاقي والفلسفي - مثل التمييز العنصري ، واستعمار الشعوب واستغلالها ، وإهدار كرامة الإنسان ، والنظرة الاستعلائية التي تحكم نظرة الإنسان الأوربي إلى غيره والتخبط النفسي الذي يعيشه الذين ارتضوا أن توجههم هذه الحضارة - هو نتيجة طبيعية للنظرة المادية الفظة التي قدمتها هذه الحضارة إلى العالم والتي يراد منا أن نخضع لها .

في الغرب:البلايين تصرف على الكلاب والقطط ... والملايين تعيش تحت مستوى الفقر!!.

يقول خبراء اجتماعيون من جامعة بنـسـلـفـانيا إن محبي الحيوانات في الولايات المتحدة وحدها ينفقون أكثر من ثمانية بلايين دولار للاعتناء بحيواناتهم من القطط والكلاب ...
(أي أكثر من الدخل الوطني في أكثر من دولة من دول العالم النامي !!)
جريدة الرياض 30/12/1406هـ
هذا ما ينفقه الشعب الأمريكي المتحضر على الكلاب والقطط سنوياً .. يتم هذا في الوقت الذي يموت فيه الآلاف من الجوع والأمراض الناتجة عن سوء التغذية في كثير من الدول الأفريقية والآسيوية وغيرها(1) .. بل إن هذه البلايين من الدولارات تصرف على الكلاب في أمريكا رائدة الحضارة الغربية في الوقت الذي يعيش فيه الملايين من الشعب الأمريكى نفسه في فقر مدقع . .. فلو قدر لك أن تدخل حياً من الأحياء الفقيرة في مدينة نيويورك أو غـيـرها مـن كـبـريات المدن الأمريكية - وخصوصاً الأحياء التي تقطنها أغلبية سوداء - لـحـدثـتـك نفسك أنك في بلدٍ من أفقر بلدان العالم الثالث وما الدول الغربية الأخرى عن هذا ببعيدة إن لم تكن أسوأ حالاً منها . . .
ففي بريطانيا العظمى !! مثلاً: نشرت صحـيـفـة الجارديان بتاريخ 26/6/86 م تـقـريـراً أعدته مجموعتان من مـجـمـوعات مـمـارسة الضـغـط على الحكومة:(إن أحد عشر مليون شـخـص يـعـيـشون حالياً على-أو دون - مستوى الفقر .. وهذا العدد كما لا يخفى يشكل حوالي 20% من العدد الإجمالي للسكان ... ولـيـس الشعب البـريـطـانى بأقل شـغـفاً بالقطط والكلاب من نظيره الأمريكي، ولا هو بأقل صرفاً وإنفاقاً عليها .. فهذه تناقضات الحضارة الغربية وهكذا :
تموت الناس في الصحراء جوعاً ولحم الضأن يرمى للكلاب !!!
وإذا تركنا القطط والكلاب جانباً بهذه البلايين من الدولارات التي تصرف عليها، ونظرنا إلى ما يصرفه الـشعـب الـبـريطاني من الملايين على الخمور (هذا الشعب الذي يحتضن بين جنبيه أحد عشر مليون فقير) .. إذا نظرنا إلى ذلك فإننا نزداد ثقة بتناقضات هذا المجتمع الغربي المتحضر !!.

ففي تقرير أعده خبراء الصحة ونشرته صحيفة التايمز بتاريخ 25/3/86 م جاء فيه:
(إن الـبـريطانيين ينفقون 35 مليون جنيه استرليني يومياً !! على المشروبات الكحولية - ويدخل خزانة الدولة سنوياً 6 بلايين جنيه كضرائب على هذه المشروبات ... لكن الفاتورة السنوية التي تـصـرفها الـبـلـد من جراء مفاسد هذه المشروبات قدرت بـ مليار و680 مليون جنيه، وذلك نتيجة التغيب عن العمل الناجم عن الأمراض التي تسببها الخمور، وأجور العلاج في المستشفيات والموت السابق لأوانه .. فماذا بقي من حضارة مجتمع ينفق أكثر من 12 مليار جنيه سنوياً على الخمور فقط ... في وقت يعيش فيه 11 مليون من أبنائه تحت مستوى الفقر ؟!!.
((وإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا))
في الـتـقـريـر سـابـق الذكر والذي أعدته منظمة الحد من مفاسد الكحول، المدعومة من قبل الجمـعـية الطـبـية الـبريـطـانية ومجلس التعليم الصحي ومنظمات أخرى ونشرته صحيفة التايمز بتاريخ 25/3/86م في هذا التقرير جاء ما نصه :
(إن أكثر من 25 ألف شـخـص يمـوتون سـنـوياً في بريطانيا كنتيجة مباشرة لسوء استعمال الكحول) .
(إن الشعب البريطاني يستهلك من الخمور الآن ضعف ما كان يستهلكه في الخمسينات من هذا القرن ، ولقد انخفضت أسعار الخمور بمعدل 50% عنها في عام 1950م) .
(إن واحداً من كل ثلاثة سائقين يتسببون في وقوع حوادث السيارات والتي ينتج عنها آلاف القتلى والجرحى كل سنة ... قد تعدى الحد القانوني في تناول الشراب) .
(إن نصف المتهمين بجرائم القتل كانوا اثناءها مفرطين في السكر).
(ويرتبط الشراب أيضا بـ 52% من الوفيات بسبب الحرائق وبـ 30% من حوادث الغرق).
(إن الحالة الهستيرية التى يعيشها المجتمع هلعاً من مخاطر المخدرات قد صرفت الانتباه بعيداً عن القاتل الحقيقي - يعني الخمور - ففي عام 1984 قتل 2500 على الأقل بسبب الإفراط

في تناول الخمور.. بينها 235 حالة وفاة فقط تسببت بها المخدرات).
إن السراب الذي يتطلع إليه المخدوعون بهذه الحضارة لتعكسه هذه الأرقام والإحصائيات فيظهر جلياً على حقيقته..
وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم التنزيل : ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ والْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إثْمٌ كَبِيرٌ ومَنَافِعُ لِلنَّاسِ وإثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا)) [البقرة:219]..
نعم ، قد تجني الدولة الملايين كضرائب على الخمور ، وهذا في ظاهره نفع وغنيمة ، لكنها تنفق أضعافها نتيجة الحوادث والجرائم الناجمة عن تعاطي هذه الخمور... والشعب يدفع عصارة جيبه وكد جبينه كى يطرب ويلهو ويسكر.. فإذا أفاق دفع فاتورة هذا الطرب والسكر مرة أخرى - لا بالمال هذه المرة - لكن بما يعانيه من ازدياد في الجرائم والحوادث والأمراض.. فأي نفع يقارن بكل هذه المفاسد والآثام.. فعلام إذاً تشرئب الأعناق إلى هذه الحضارة ، وينادي بالسير على خطاها المنادون... وهل ينادي بها بعد ذلك إلا السذج والبلهاء... ولهؤلاء نقول : هذه حقيقة هذه الحضارة... فهل أنتم منتهون؟.

((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ))

يقول تقرير صادر عن مؤتمر الإيدز (مرض نقص المناعة المكتسبة) بتاريخ 25/6/86 ونشرته صحيفة الجارديان بتاريخ 26/6/86م .
(إن 300 ألف حالة إصابة بمرض الإيدز ستقع في عام 1991م وحده إذا انتشر (فيروس) المرض في بقية أنحاء العالم كانتشاره الآن في الولايات المتحدة) .
وصرح الدكتور (جيمس كَرَنْ Dr James Curran رئيس برنامج الإيدز في مركز مكافحة المرض في أتــلانــتــا Atlanta) إن 74 ألف حالة جديدة ستهدد الولايات المتحدة في عام 1991 نفسه) .
وختم الدكتور (كَرَنْ) الـمـؤتـمر الذي دام ثلاثة أيام بتنبؤٍ خطير جاء فيه : (إنه مع مطلع عام 1991م سيكون أكثر من ربــع مليون أمريكي قد أصيبوا بالمرض وإن 179 ألف آخرون قد أدى بهم المرض إلى الوفاة) .

وأضافت الصحيفة تقول : (ومن المعلوم أن أوربا تأتي بالمرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث عدد الإصابات بالمرض وبتخلف زمني قدره أربع سنوات ، حيث أعلنت منظمة الصحة العالمية بتاريخ 25/6/1986م أن فرنسا هي أسوأ الدول الأوربية تأثراً بمرض الإيدز ، فقد بلغت عدد الإصابات فيها وحتى شهر آذار (مارس) الماضي (707) حالة إصابة ... وتأتي ألمانيا الغربية في المرتبة الثانية بعد فرنسا حيث بلغت حالات الإصابة بالمرض (457) حالة وتأتي بريطانيا في المرتبة الثالثة بـ (340) حالة إصابة ، وتحتل إيطاليا المرتبة الرابعة بما مقداره (219) حالة ..)
لعل هذه الإحصائيات التي صــدرت عن مؤتمر الإيدز في باريس أحدث ما نشر عن انتشار هذا المرض الفتاك.. وإلا فالإحـصائيات كثيرة ، ولا تكاد تطالع صحيفة يومية أو أسبوعية إلا وتجد حديثاً عن مرض الـعـصــر ... ولا نريد في هذه المقالة الدخول في دراسات علمية تفصيلية عن أعراض هذا المرض وأسـبـابــه وآثاره فنحسب أن القارئ الكريم لا تخفى عنه مثل هذه الأمور عن مثل هذا المرض لكن لا يـفـوتــنـا أن نذكر أن 95% ممن يصابون به هم ممن يمارسون الشذوذ الجنسي ، وأن الباقين ممن يـتـعـاطــــون المخدرات أو ينقل لهم دم مصاب بهذا المرض ، كما لا يفوتنا أن نذكر أيضاً أن أكثر من 90% ممن يصابون به يؤدي بهم أخيراً إلى الوفاة . . ولنقف قليلاً عند حقيقة أن أكثر من يـصـابون بـه هم من اللوطيين ..
فـإذا كـانــت الـقـوانين والحكومات الغربية قد أعطت للوطيين ما يطالبون به من حـقـوق، فـسـمـحـــت لهم بإقامة الجمعيات للشذوذ الجنسي ، وافتتاح النوادي التي يمارسون بها هوايتهم الــشـاذة ، كما سمحت لهم بترويج المجلات وأشرطة الفيديو التي تدعو إلى مثل هذا السلوك المنحرف . بل ذهبت إلى أبعد من ذلك فصرنا نقرأ ونسمع بعض أعضاء البرلمان في أكثر من دولة من دول الغرب ينادون باعتبار الشذوذ الجنسي ظاهرة طبيعية بحتة .. ومنهم من يطالب بإدخال الشذوذ الجنسي كمادة تدريس في المدارس الثانوية!!.

وهل بقي للشاذين جنسياً في هذه البلدان من حقوق يطالبون بها بعد أن سمحت الكنيسة بزواج الرجل من الرجل رسمياً !!.
أقول : إذا كان هذا هو وضع اللوطيين في الحضارة الغربية . . فنحن -المسلمين - قد نبأنا الله بما حل بقوم لوط (عليه السلام) . . بل وأرادوا إخراج نبيهم لوط وأتباعه من قريتهم . .. أتدرون ما جريمتهم ؟! لأنهم أناس يتطهرون !! ... تماماً كما تصنع الجاهلية المعاصرة حيث تسمي من يتطهر من هذه الأوحال بالرجعيين والمتطرفين . . لقد أنزل الله بهم عقابه الذي لا يرد فجعل عالي قريتهم سافلها وأمطر عليهم حجارة من السماء .
قال تعالى : ((فَـلَـمَّـا جَـــاءَ أَمْــرُنَــا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ)) [هود:82]، ولما كان قــوم لـــوط في دول الحضارة الغربية قد أمنوا مكر الله وأمنوا عقاب القانون الذي أصبح يحميهم ويـكـفــل حـقــوقهم المزعومة .. . فقد أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فلم يخسف بهم الأرض ، كما فعل بأسلافهم بل سلط عليهم جنداً من جنوده ، سلط عليهم جرثومة هذا المرض المرعب الذي تـنـفـطـــر له القلوب هلعاً . . . فالله سبحانه بالمرصاد ولا يهمل الظالمين ولا يغفل عنهم . . . وإنــا لـنـجـد في انتشار هذا المرض بالذات وغيره من الأمراض الجنسية في بلاد الغرب ، والتي تؤدي بـأصحـابـهـا أخــيراً إلى الموت مصداقاً لحدث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- الذي رواه بريدة (رضى الله عنه) إذ يقول : » ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا سـلـط الله عليهم الـموت ، ولا منع قوم قط الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر « (رواه البزار ورجـالــه رجــال الصحيح غير رجاء بن محمد ، وهو ثقة) .
وهل شيء في بلاد الغرب أظهر من الفاحشة، وهل يحظى شيء، بقدر من الإعلان والإعلام كما تحظى به الفاحشة؟! أليست تعلن في أجـهــزة الـتـلـفاز بأشرطة الفيديو وعلى المسارح وعلى شواطئ العراة؟... أليس الملايين من البشر يقصدون هذه البلدان سنوياً بحثاً عن هذه البضاعة المزجاة؟..

إذاً؛ هذه سنة الله التي لا تتخلف في القوم المجرمين، فلم يكن مرض الإيدز القاتل معروفاً قبل بضع سنين، وما ظهر إلا بعد أن أصبح للشذوذ قنواته الرسمية والقانونية التي يُمارس من خلالها .
ولـعـل أكــثـر مــا يـرعـب علماء الغرب وأطباءه بصفة خاصة هو ذلك المرض الذي يكتنف (فـيـروس) هــذا الـمـــرض، حيث فشلت كل الوسائل المتقدمة التي استخدمت حتى الآن للكشف عن ماهية هذا الفـيـروس وسـبــل مكافحته... بل ويزيد الأمر خطورة انتقاله حتى لـغـيـر الشاذين ومدمني المخدرات ... وإلى أن يتوصل العلم الحديث والتكنولوجيا المتطورة إلى اختراق هذا الغموض وحل هذه الرموز وإيجاد العقار الواقي ... إلى أن يـحــدث ذلــك سيبقى الفزع والرعب جاثماً على قلوب الغربيين وهذا في حد ذاته عقاب من الله الـقـائــل عن حجارة قوم لوط ((ومَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)) [هود:83] .
ونحن على يقين من أنه ما لم يقلع الغرب -ولن يقلع - عن هذه الفواحش فإن الإيدز لن يكون آخر وباء ينتشر بين صفوفهم . . بل إن سنة الله ماضية إلى قيام الساعة ((ومَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ونَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى)) [طه:124]
وصدق الله العظيم إذ يقول : ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإذَا هُم مُّبْلِسُونَ)) [الأنعام:44].
نعم أبواب كل شيء من الخيرات والأرزاق استدراجاً لهم ومن الأمراض الفتاكة والخمور المهلكة والمخدرات القاتلة ، ومن القلق النفسي والاضطراب العصبي والرعب والجرائم ... الخ .
وهذا بخلاف فيما لو آمنوا واتقوا لأصبحت هذه الخيرات والأرزاق بركات عليهم ، كما قال الله تعالى :((ولَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ)) [الأعراف:96] .
فليقف دعاة الأخذ بهذه الحضارة مع أنفسهم وقفة تأمل وتفكر ، وليعلموا أنهم إنما يدعون إلى مثل هذه الأمراض والإفرازات . .
وإلا فنقل محاسن الحضارة الغربية من تقدم صناعي وقتني لا غبار عليه ... لكن دعاة هذا النوع من الحضارة - اليوم - قليل بين أبناء المسلمين ...

الربا .. صوره - أقسام الناس فيه

بقلم فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً ، وبعد..

فإن الله تعالى إنما خلق الجن والإنس وأودع فيهم العقول والإدراك وبعث فيهم الرسل وبث فيهم النذر ليقوموا بعبادته والتذلل له بالطاعة مقدمين أمره وأمر رسله على ما تهواه أنفسهم ، فإن ذلك هو حقيقة العبادة ومقتضى الإيمان ، كما قال الله تعالى : ((ومَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ومَن يَعْصِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً)) [الأحزاب: 36].

فلا خيار للمؤمن -إن كان مؤمناً حقاً - في أمر قضاه الله ورسوله ، وليس أمامه إلا الرضا به ، والتسليم التام سواء وافق هواه أم خالفه ، وإلا فليس بمؤمن ، كما قالي الله تعالى : ((فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) [النساء:65].

وقد أخبر الله تعالى أن العدول عن حكمه وعن اتباع رسوله أنه أضل الضلال فقال تعالى : ((فَإن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ)) [القصص:50].

إذا تبين هذا فاعلم أن أوامر الله تعالى تنقسم إلى قسمين : قسم فيما يختص بمعاملته سبحانه ؛ كالطهارة والصلاة والصيام والحج ، وهذه لا يستريب أحد في التعبد لله تعالى بها . وقسم فيما يختص بمعاملة الخلق وهي المعاملات الجارية بينهم من بيع وشراء وإجارة ورهن وهبة ووصية ووقف وغيرها ، وكما أن تنفيذ أوامر الله تعالى والتزام شريعته في

الـقـسـم الثاني أمر واجب ، إذ الكل من حكم الله تعالى على عباده ، فعلى المؤمن تنفيذ حكم الله والتزام شريعته في هذا وذاك .
ولقد شـرع الله تعالى لعباده في معاملاتهم نظماً كاملة مبنية على العدل لا تساويها أي نظم أخرى ، بـــل كلما ابتعدت النظم أو ابتعد الناس عن العمل بنظم الشريعة كان ذلك أكثر الظلم ، وأوغل في الشر والفساد والفوضى .
وإن من الظـلـــم في المعاملات واجتناب العدل والاستقامة فيها أن تكون مشتملة على الربا الذي حذر اللــه تعالى منه في كتابه وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأجمع المسلمون على تحريمه .
قال الله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ وإن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ ولا تُظْلَمُونَ * وإن كَـــانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلَى مَيْسَرَةٍ وأَن تَصدقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * واتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ)) [البقرة:278-281].
وقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * واتَّقُوا النَّارَ الَتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وأَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) [آل عمران: 130-132].
وقال تعالى : ((الَذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إنَّمَــا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وأَحَلَّ اللَّهُ البَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وأَمْرُهُ إلَى اللَّهِ ومَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ويُرْبِي الصَّدَقَاتِ واللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ))[البقرة : 275-276] ، يعنى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المُخَبَّل المجنون الذي يصرعه الشيطان .
هكذا قال ابن عبـــاس رضى الله عنهما وغيره . وفى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء . واللعن : الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى .

وفى صحيح البخاري مـــن حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى في منامـــه نهراً من دم ، فيه رجل قائم ، وعلي شط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج ، رماه الرجل الذي على شط النهر بحجر في فمه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رماه الذي على شط النهر بحجر فيرجع كما كان ، فســأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن هذا الرجل الذي في نهر الدم فقيل آكل الربا .

ولقد بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأمته أين يكون الربا ، وكيف يكون ، بياناً شافياً واضحاً ، فقـال - صـلـــى الله عليه وسلم - : الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعـيــر بالشعير ، والتمر - بالتمر ، الملح بالملح . مثلاً بمثل ، يداً بيد ، فمن زاد أو استزاد فـقـــد أربى ، الآخذ والمعطى فيه سواء . رواه مسلم . وفي لفظ : فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد .

فهذه الأصناف الستة هـــي محـل الربا بالنص(1) : الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح وقد بين النبي - صلى الله عـلـيــه وسلم - كيفية الربا فيها فأوضح أن التبايع فيها يكون على وجهين :

الوجه الأول :

أن يباع منها بجنسه مثل أن يباع ذهب بذهب ، فيشترط فيه شرطان اثنان :

أحدهما : أن يتساويا في الوزن .

والثـانـي : أن يكون يداً بيد بحيث يتقابض الطرفان قبل أن يتفرقا . فلو باع ذهباً بذهب يزيد عـلـيـــه في الوزن ولو زيادة يسيرة فهو ربا حرام ، والبيع باطل ولو باع ذهباً بذهب يساويه في الوزن وتفرقا قبل القبض فهر ربا حرام ، والبيع باطل ، سواء تأخر القبض من الطرفين أو من طرف واحد .

الوجه الثاني :

أن يباع واحد من هذه الأصناف بغير جنسه ، مثل أن يباع ذهب بفضة فيشترط فيه شرط واحد ، وهو أن يكون يداً بيد بحيث

يتقايض الطرفان قبل أن يتفرقا ، فلو باع ذهباً بفضة وتفرقا قبل الـقـبـض فهو ربا حرام ، والبيع باطل ، سواء تأخر القبض من الطرفين أو من طرف واحد .
ولقد كان الذهب والفضة منذ أزمنة بعيدة محل التعامل بين الناس قيماً للأعيان والمنافع ، فأصبـح التعامل بالأوراق النقدية بدلاً عنها والبدل له حكم المبدل ، فإذا بيعت ورقة من الـنـقـود بورقة أخرى فلابد من التقايض قبل التفرق ، سواء كانت من جنسها أم من غير جنسها ، وسواء كانت هذه الأوراق بدلاً عن ذهب أم بدلا عن فضة فلو صرفت ورقة نقدية سعوديــة مــن ذوات المائة بورقتين من ذوات الخمسين فلابد من التقابض من الطرفين قبل التفرق . ولو صــرف دولاراً بأوراق نقد سعودية فلابد في التقابض من الطرفين قبل التفرق أيضاً. ولو اشـتـــرى حلي ذهب أو فضة بأوراق نقدية فلابد من التقابض من الطرفين قبل التفرق لأنه كـبـيـع الذهب بالفضة الذي قال فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - : فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد .
ولقد انقسم الناس في المعاملات الربوية إلى ثلاثة أقسام:
قسم : هداهم الله تعالى ونور بصائرهم ووقاهم شح أنفسهم وعرفوا حقيقة المال ، بل حقيقة الدنيا أنها عارية مـسـلــوبة ، وفيء زائل ، وأن كمال العقل والدين أن يجعل الرجل المال وسيلة لا غاية ، وأن يجعله خادماً لا مخدوماً فتمشوا في اكتساب أموالهم وصرفها على ما شرعه لهم خالقهم الذي هو أعلم بما يصلحهم وأرحم بهم مــن أنفـسـهـــم ، فأخذوا بما أحل الله واجتنبوا ما حرم الله ، وهؤلاء هم الناجون المفلحون . قال الله تعالى : ((ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)) [الحشر:9] .
القسم الثاني : من تعاملوا بالربا على وجه صريح ، إما جهلاً منهم أو تجاهلاً أو عناداً ومكابرة ، وهؤلاء مستحقون لما تقتضيه حالهم من الوعيد على أكل الربا ، على ما جاء في نصوص الكتاب والسنة .
القسم الثالث : من تعاملوا بالربا من وجه الحيلة والمكر والخداع ، وهؤلاء شر من القسم الثاني ، لأنهم وقعوا في مفسدتين : الربا

، ومفسدة الخداع ، ولهذا قال بعض السلف في أهل الحيل : يخادعون الله كما يخادعون الصبيان ، لو أنهم أتوا الأمر على وجهه لكان أهون .
ونحن نذكر من فعل هذين القسمين ما كان شائعا بين الناس .
فالشائع من فعل القسم الأول ربا البنوك وهو على وجهين :
أحـــدهما : أن يأخذ البنك دراهم من شخص بربح نسبة مئوية يدفعها البنك كل شهر أو كل سنة ، أو عند انتهاء مدة الأجل إن كان مؤجلاً .
الثاني : أن يعطي البنك دراهم لشخص بربح نسبة مئوية يأخذها البنك كل شهر أو كل سنة أو عند انتهاء مدة الأجل ، إن كان مؤجلاً .
فأما إذا أخذ البنك الدراهم من شخص بدون ربح فله وجهان :
أحدهما : أن يأخذ هذه الدراهم على وجه الوديعة بأن يحفظ الدراهم بأعيانها لصاحبها ، ولا يدخلها في صندوق البنك ، ولا يتصرف فيها ، بل يبقيها في مكان إيداعها حتى يأتي صاحبها فيأخذها ، فهذا جائز ، وهذا الوجه ليس للبنك فيه فائدة اللهم إلا أن يكون بين القائمـيـن عليه وبين صاحب صحبة . فيحسنوا إليه بحفظ دراهمه في حرز البنك . ولذلك لو طلب البنك أجرة على حفظها لكل شهر أجرة معلومة لكان ذلك جائزاً .
الوجـه الـثـانـي : أن يـأخــــذ البنك هذه الدراهم على وجه القرض ، بحيث يدخلها في صندوق البنك ، ويتصرف فـيـهــــا كما يتصرف في ماله ، فهذه قرض وليست بإيداع وإن سماها الناس إيداعاً ، فالعبرة بالحقائق لا بالألفاظ ، وإذا كانت قرضاً للبنك فهي إرفاق به ومساعدة وتنمية لربحه ، فإذا كان البنك لا يتعامل إلا بالربا فلا ريب أن إعطاءه الدراهم على هذا الوجه حرام لأنه عونٌ ظاهر على الربا ، وإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - لعن كاتب الربا وشاهديه فكيف بمن يضم ماله إلى مال المرابي فيزداد ربحه ومراباته .
أما إذا كان البنك له موارد أخــرى غير ربوية مثل أن يكون له مساهمات في شركات طيبة المكسب ، وله مبايعات وتصرفــات أخرى حلال فإن إعطاءه الدراهم على هذا الوجه ليس بحرام ،

لأنه لا يتحقق صرفها في الوجه الربوي من تصرفات البنك ، لكن البعد عن ذلك أولى لأنه موضع شبهة ، إلا أن يحـتـاج الإنسان إلى ذلك ، فإن الحاجة تبيح المشتبه لقوة المقتضى وضعف المانع .
هذا هو الشائع من فعل القسم الأول من المتعاملين بالربا .
أما الشائع من فعل القسم الثاني من المتعاملين بالربا فهو أن يأتي الرجل لشخص فيقول : إني أريد من الدراهم كذا وكذا فهل لك أن تدينني العشر أحد عشر أو ثلاثة عشر أو أقل أو أكثر حسب ما يتفقان عليه ، ثم يذهب الطرفان إلى صاحب دكان عنده بضائع مرصوصة قد يكون لها عدة سنوات إما خام أو سـكـــر أو رز أو هـيـل أو غيره مما يتفق عند صاحب الدكان ، أظن أن لو وجدوا أكياس سماد يقـضـيــان بهــا غرضهـمــا لحصل الاتفاق عليها فيشتريها الدائن من صاحب الدكان شراءً صورياً غير حقيقي ، نقول إنه صوري لا حقيقي لأنه لم يقصد السلعة بعينها بل لو وجد أي سلعة يقض بها غرضه لاشتراها ولأنه لا يقلب السلعة ولا يمحصها ولا يماكس (يكاسر) في الثمن وربما كانت السلعة معيبة من طول الزمن أو تسلط الحشرات عليها ، ثم بعد هذا الشراء الصوري يتصدى لقـبـضـهــا ذلـك الـقـبـض الـصـوري أيـضـاً ، فـيـعـدهــا وهو بعيد عنها ، وربما أدرج يده عليها تحقيقاً للقبض كما يزعمون ، والقبض في مدلوله الـلـغــوي أن يـكــون الـشتيء في قبضتك ، وبعد هذا القبض الصوري يبيعها على المستدين بالربح الذي اتفقا عليه من قبل ، ولا ندري هل يتصدى هو أيضاً لقبضها القبض الصوري كما قبضها الدائن أو يبيعـهـا على صاحب الدكان بدون ذلك ، فإذا اشتراها صاحب الدكان سلم للمدين الدراهم وخرج بـهــا . قــال شـيـخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه (إبطال التحليل ص 109) : بلغني أن من البـاعـة من أعد بزاً لتحليل الربا فإذا جاء الرجل إلى من يريد أن يأخذ منه ألفا بألف ومائتين ذهـبـــاً إلى ذلك المحلل فاشترى المعطى منه ذلك البز ثم يعيده الآخذ إلى صاحبه ، وقد عرف الرجل بذلك بحيث إن البز الذي يحلل به الربا لا يكاد يبيعه البيع البتات ا هـ .
وقال في الفتاوى 29/ 430 ، جمع ابن قاسم : إذا اشترى له بضاعة وباعها له فاشتراها منه أو باعها للثالث صاحبها الذي

اشتراها المقرض منه فهذا ربا . وفي ص 436 - 437 من المجلد المذكور : فهذان المتعاملان إن كان قصدهما أخذ دراهم بدراهم إلى أجل فبأي طريق توصل إلى ذلك كان حراماً وفى ص438 منه : فهذه المعاملة وأمثالها من المعاملات التي يقصد بها بيع الدراهم بأكثر منها إلى أجل هي معاملة فاسدة ربوية ، قال : وعلى ولى الأمر المنع من هذه المعاملات الربوية وعقوبة من يفعلها ، وفي ص 441 منه : وكذلك إذا اتفقا على المعاملة الربوية ، ثم أتيا إلى صاحب حانوت يطلبان منه متاعاً بقدر المال فاشتراه المعطى ثم باعه على الآخذ إلى أجل ، ثم أعاده إلى صاحب الحانوت بأقل من ذلك فيكون صاحب الحانوت واسطة بينهما بجُعل؟ فهذا أيضاً من الربا الذي لاريب فيه . وفي ص 447 منه : وأصل هذا الباب أن الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى ، فإن كان قد نوى ما أحله الله فلا بأس ، وإن نوى ما حرم الله وتوصل إليه بحيلة فإن له ما نوى . وقال في أبطال التحليل ص 108 : فيا سبحان الله العظيم ، أيعود الربا الذي قد عظم الله شأنه في القرآن ، وأوجب محاربة مستحله ، ولعن أهل الكتاب بأخذه ، ولعن آكله وموكله وكاتبه وشاهديه ، وجاء فيه من الوعيد ما لم يجئ في غيره إلى أن يستحل جمـيـعـــه بأدنى سعي من غير كلفة أصلاً إلا بصورة عقد هي عبث ولعب يضحك منها ويستهزأ بها أم يستحسن مؤمن أن ينسب نبياً من الأنبياء فضلاً عن سيد المرسلين بل أن ينسب رب العالمين إلى أن يحرم هذه المحارم العظيمة ثم يبيحها بضرب من العبث والهزل الذي لم يقصد ولم يكن له حقيقة وليس فيه مقصود المتعاقدين قط ؟!. وقال ابن القيم وهو أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الذي لم نر مثله في بابه : (إعلام الموقعين 3/148) تحقيق عبد الرحمن الوكيل : وهكذا الحيل الربوية ، فإن الربا لم يكن حراماً لصورته ولفظه ، وإنما كان حراماً لحقيقته التي امتاز بها عن حقيقة البيع ، فتلك الحقيقة حيث وجدت وجد التحريم في أي صورة ركبت ، وبأي لفظ عبر عنها ، فليس الشأن في الأسماء وصور العقود ، وإنما الشأن في حقائقها ومقاصدها وما عقدت له.ا هـ .

وهذه المعاملة الشائعة بين الناس في التحايل على الربا تتضمن محاذير منها: أنها خداع ومكر وتحيل على محارم الله تعالى .
والحيلة لا تحلل الحرام ، ولا تسقط الواجب ، بل تزيد القبيح قبحاً إلى قبحه ، حيث تحصل بها مفسدته مع مفسدة الخداع والمكر ، ولهذا قال بعض السلــف في المتحايلين : يخادعون الله كما يخادعون الصبيان ، لو أتوا الأمر على وجهه لكان أهــون . ومنها : أنها توجب التمادي في الباطل ، فإن المتحيّل يرى أن عمله صحيح فيتمادى فيــه ، ولا يشعر نفسه بأنه مذنب ، فلا يؤنبها على ذلك ، ولا يحاول الإقلاع عنه ، أما مــن أتى الباطل على وجه صريح فإنه يشعر أنه وقع في هلكة فيخجل ويستحي من ربه ويحاول أن ينزع من ذنبه ويتوب إلى الله تعالى.
ومنها : أن السلعة تباع في محلها بدون قبض صحيح ولا نقل ، وهذا معصية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى أن تباع السلع حـيـث تـبـتــاع - أي في المكان الذي اشتريت فيه - حتى يحوزها التجار إلى رحالهم . رواه أبو داود ، ويـشـهــد له حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : كان الناس يتبايعون الطعام جزافاً بأعلى السوق ، فنهاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يبيعوه حتى ينقلوه . رواه البخاري..
وقد يتعلل بعض الناس فيقول : إن عد هذه الأكياس قبض لها فنقول : القبض مدلول لفظي وهو أن يكون الشيء في قبضتك وهذا لا يتحقق بمجرد العدّ ، ثم لو قــدرنا أن العد قبض ، فهل حصل النقل والحيازة ؛ والنبي - صلى الله عليه وسلم - نهى أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم .
وقد يتعلل بعض الناس بأن هذه المعاملة من التورق ، فنقول : ليست هذه من التورق الذي اختلف في جوازه فإن التورق أن يشتري المحاج سلعة بثمن مؤجل زائد عن ثمنها الحاضر من أجل أن يبيعها وينتفع بثمنها ، فهو يشتري سلعة بعينها مقصودة مملوكة للبائع ، أما المعاملة الشائعة هذه فليست كذلك فان البائع والمشتري يتفقان على الربح ، وهى ليست في ملكه ، ثم إن السلعة ليست معلومة لهما ولا معلومة الثمــن ولا مقصودة ،

ولذلك يأخذان أي سلعة تتفق عند صاحب الدكان بأي ثمن كان ، حتى إن بعضهم إذا لم يجد سلعة عند صاحب الدكان تكفي قيمتها للدراهم التي يحتاجها المتدين رفع قيمتها حتى تبلغ الدراهم المطلوبة ، وربما اشتراها الدائن فباعها على المتدين ثم باعها المتدين على صاحب الدكان ثم عاد صاحب الدكان فباعها على الدائن مرة ثانية ثم باعها الدائن على المتدين ، وهكذا يكررون العقد مرات حتى تبلغ الدراهم المطلوبة فأين هذه الـمـعـــاملة من التورق الذي هو موضع خلاف بين العلماء(2) ، وقد نص الإمام أحمد رحمه الله تعالى في رواية أبي داود على أنها -أي مسألة التورق- من العينة ذكره ابن القيم في تهذيب السنن 5/108 ، وذكر في الإنصاف عن الإمام أحمد فيها ثلاث روايات : الإباحة والكراهة والتحريم ، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية تحريم التورق وكان يراجع فيها كثيراً فيـأبـــى إلا تحريمها. وقد شاع في هذه المعاملة المتحيل بها على الربا . أن الناس يقولون فيها : (العشر أحد عشر) ، وهذا مكروه في البيع الذي ليس حيلة على الربا . وعن الإمام أحمد -رحمه الله- أنه الربا ، وقال أيضاً : كأنه دراهم بدراهم لا يصح .

وقد تدرج كثير من الناس بهذه المعاملة إلى الوقوع في الربا الصريح ، ربـــا الـجاهلية الذي يأكلونه أضعافاً مضاعفة ، فإذا حل الأجل ولم يوف المدين إما لعجزه أو مماطـلـتـه قال له الدائن . خله يبقى بمعاشرته فيربى عليه كل سنة ذلك الربح الذي اتفقا عليه وسمـيــاه مـعـاشــرة ، نسأل الله تعالى السلامة .

المخرج المشروع :

والموفق يـسـتـطيع التخلص من هذا الفخ الذي أوقعه فيه الشيطان والشح ، فيصرف تعامله إلى البيع والشراء على الوجه السليم ، ويقضي حاجة المحتاج إما بإقراضه ، وإما بالسلم بأن يعطيه دراهم بعوض يسلمه له بعد سنة أو أكثر حسبما يتفقان عليه ، مثل أن يقول : هذه عشرة آلاف ريال اشتريت بها منك ، مائة كيس سكر تحل بعد سنة ، وقيمة الكيس بدون أجل مائة وعشرة ريالات ، فهنا حصل للبائع الذي هو المستدين انتفاع بالدراهم ، وحصل للمشتري الـذي هو الدائن انتفاع بربح عشرة

ريالات في كل كيس ، وربما يرتفع سعره عند الوفاء فيربح أكثر ، وربما ينزل فلا يحصل له إلا دراهمه أو أقل وبهذا يخرج عن الربا ويكون كالبيــع المعتاد الذي يربح فيه أحد المتعاقدين أو يخسر حسب اختلاف السعر . وهذه المعاملة كانت شائعة بين الناس إلى عهد قريب وتسمى في لغة العامة (المكتب أو الكتب) ينطقون الكاف بين السين والكاف ? فهاتان طريقتان لقضاء حاجة المحتاجين : القرض والمكتب . فإن لم يشأ المتعاقدان ذلك فثم طريقة ثالثة إذا كانت حاجة المدين بشيء معين مثل أن يكون محتـاجــا لـسـيـارة أو ماكينة وقيمتها كذا وكذا ، فيبيعها الدائن عليه بأكثر إلى أجل يتفقان عليه ، لأن قصد المدين هنا نفس تلك العين لا دراهم بدراهم .
((ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ)) [الطلاق : 2-3] ، ((ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً)) [الطلاق:4] ، هكذا قال الله تعالى . وقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ويُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ))[الأنفال:29].
وقال تعالى : ((وأَحَلَّ اللَّهُ البَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وأَمْرُهُ إلَى اللَّهِ ومَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))[البقرة:275] .
فالتوبة إلى الله تعالى إذا كانت نصوحاً تمحو ما قبلها ، وإذا كانت هذه المعاملات المحرمة فعلها العبد تقليداً لمن يحسن الظن به أو تأويلاً اشتبه عليه به وجه الصواب ثم رجع إليه بعد علمه به فإنه لا يؤاخذ به ، فإنما المؤاخذة فيمن علم الخطأ وتمادى فيه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

الهوامش :

1- وألحق جمهور العلماء بها ما يساويها في العلة والحكمة على خلاف بينهم في تحقيق العلة ، وليس هذا محل بسطها.
2- ولذا يحكى ابن تيمية الخلاف في التورق ، ولكن يقول في هذه المعاملة : هو من الربا الذي لا ريب فيه.

جرح في الجنوب

حـسـب اتـفـاقـيـات وسـيـاسـات الشرق والغرب، فإنه من مصلحتهم جميعاً أن تبقى نقاط ساخنة في العالم وتكاد تكون كل قارة من القارات النامية (النائمة) آسيا ، أفريقيا ، أمريكا الجـنـوبـية تعاني من حروب أهلية أو حروب على الحدود بين دولتين، تستنزف خيرات هذه القارات إلى مـصـانـع الـسـلاح في الشرق والغرب، وتحتكر القرار السياسي في عواصم السلاح نفسها .

ولـعـل مـن هـذه الـنـقـاط الـتـي يُـراد لـهـا أن تـُـصـبـح سـاخـنـة فـي القارة الإفريقية هي جـنـوب الـسـودان.

فبعد أن أُغلق مجلس الشعب الإقليمي بجوبا عام 1980 تأسست بمدينة طرابلس الليبية في سبتمبر 1981 جبهة تحرير السودان بقيادة عثمان إبراهيم طويل، واتخذت منطقة جنوب السودان ميداناً للصراع المسلح ضد النظام السابق ، ثم انقسمت هذه الجبهة وانفصل عنها عقيد نصراني اسمه جون قرنق بما يسمى الحركة الشعبية لتحرير السودان ، واتخذ من الأراضي الحبشية مقراً له ، انفصل عن رفاقه الذين اتفق معهم في أول الأمر على تحرير السودان من نميري وتسلطه والرقي بالمجتمع والاقتصاد السوداني قُدماً ، وعارض كذلك تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ولو كانت حسب عقلية النظام السابق ، مدفوعاً من كونه نصرانياً ، ولكن بعد زوال نميري ، وقيام حكومة مدنية أخرى لم يرجع قرنق ، وأعلن أن الجنوب السوداني نصراني على الرغم من أن النصارى لا يشكلون الغالبية في الجنوب ، . ويريد تخـلـيـصه من الشمالـيـين المـتـسلـطين عليه بل ذهب أبعد من ذلك حيث أباد قبيلة (منداري) إبادة كاملة لأنها كانت موالية للحكومة المركزية في الخرطوم ، وكشر عن أنيابه الـحـاقـدة كـيـف لا! والهـيـئات الـكـنسية العالمية عاونته على انشاء إذاعة في الأراضي الحبشية ، والاتحاد السوفيتي بدوره كالعادة مده بالسلاح عن طريق النظام الحبشي ذي الميول اليسارية .

ونقلت إلينا الأخبار نبأ إسقاط طائرة مدنية بعد إقلاعها من مطار ملكال الواقعة في الجنوب على بعد 400 كيلو متر من الخرطوم ، وقد أسفر هذا الحادث الذي تعرضت له طائرة من طراز فوكر

من طائرات الخطوط الجوية السودانية عن مقتل 45 - 60 شخصاً وعُلم أن من بين ضحايا الحادث عدداً من رجال الإغاثة الدولية (القبس الكويتية 28/8/86،والعرب 18/8/86) وكانـت حـجـة قـرنـق أن الـحـكـومة الـسـودانية تستغل الطائرات المدنية لنقل الجنود والسلاح إلى الجنوب وتُـعـد هـجـوماً للـقـضـاء عليه، وازداد الأمـر سـوءاً حـيـث حذر جيمس انفرام مدير برنامج الغذاء العالمي في روما (27/8/86) بأن ما يقرب من مليوني شخص مهددون بالموت جوعاً في جنوب السودان، وأضاف: إن جسراً جوياً أنشئ في 15 أغسطس الحالي قد توقف بعد ثلاث رحلات جوية بسبب إسقاط الطائرة المدنية بالقرب من ملكال . وذكر أن المتمردين الجنوبيين في السودان قد أغلقوا معظم المعابر في جنوب السودان الـتـي كانت تسـتـخـدمـهـا وكالات الإغاثة لنقل الأغذية والمؤن، وحذر المتمردون بأنهم سيسـقـطون أيـة طائرة تحلق فوق المناطق التي يسيطرون عليها، وذكرت جريدة القبس قول العاملين في مراكز الإغاثة في كينيا إن أوغندا أوقفت إرساليات ومعونات الإغاثة إلى مناطق الـمـجـاعـة في جنوب السودان ، لاتهام أوغندا السودان بمساعدة المتمردين الأوغنديين في شمال أوغندا ، فيبقى الجنوب السوداني بين سندان الورع ومطرقة الحرب .

لعله مما تقدم نستطيع تفسير مدى اهتمام حملات التنصير - على اخـتـلاف كـنائسها - بجـنـوب الـسـودان مـنـذ زمـن بـعـيـد حيث إنهم يقومون بنشاط واسع بين القبائل الوثنية والمسلمة في الجنوب ويقيمون المدارس والمستشفيات ومراكز لتجميع أطفال الفقراء وبالتالي تنصيرهم لإعداد كوادر نصرانية للدولة المزمع إقامتها في جنوب السودان على يد جون قرنق ، أو غيره .

ولعلنا تتاح لنا فرصة في المستـقـبل الـقـريب للـحـديـث عن حملات التنصير المحمومة في جنوب السودان .

رجل فقدناه

انتقل الدكتور يوسف زين العابدين إلى جـوار ربـه الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الأحد 26 ذي الحجة الموافق 31 آب إثر عـمـلـية

جـراحـيـة أجـراهـا في أحد مستشفيات برلين بعد إصابته بجلطة في قلبه، وبقي رحمه الله أكثر من أسبوعين قبل وفاته وهو في حالة غيبوبة كاملة .

ودفن الفقيد -رحمه الله- في برلين، في مقبرة الأتراك يوم الأربعاء 29 ذي الحجة الموافق 3 سبتمبر بعد صلاة العصر ، وبعد أن صلى عليه جمع غفير من المسلمين يربو عددهم على 500 شخص حضروا من مناطق مختلفة من ألمانيا وتركيا .

والدكتور يوسف زين العابدين تركي الأصل عراقي الـنـشـأة والـولادة، ولـد عـام 1937 في مدينة كـركـوك، ودرس الطـب في تركـيـا، وبعد تـخـرجه من كلية الطب انتقل إلى ألمانيا ليتابع دراسته العليا، وقد تخصص في الجراحة العامة، ثم في جراحة الأوعية الدموية، ومكث في ألمانيا خمسة وعشرين عاماً .

كان فـقـيـدنا -رحمه الله- دمث الأخلاق طيب القلب، محباً للخير .. كما كان من الدعاة إلى الله، وكان ينفق وقته. وماله في سبيل دعوته وفضلاً عن هذا وذاك كان همزة الوصل بـيـن الدعاة إلى الله من الـعـرب والأتـراك والألـمـان .

وأسرة تحرير البيان تتقدم بأحر التعازي لأرملة الفقيد وابنتيه ، وتسأل الله أن يلهمهم الصبر والسلوان .

اللهم اغفر لفقيدنا وأحسنْ مثواه اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنّا بعده وإنا لله وإنا إليه راجعون .

شخصيات إسلامية

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

يقال : إن الولد سر أبيه.. ولعل أصدق مثال على ذلك ما كان من ذلك الفتى القرشي عبد الملك بن عمر بن عبد الـعـزيــز ، ابن الخليفة الراشد الخامس الذي لا تخفى أخباره على أحد من المسلمين ، فهو العـدل في حكمه ، الورع في عدله ، التقي في نفسه ، فنعم المرشد كان لأمته..

وعبد الملك كان - كأبيه - تقياً ورعاً ، لا يخشى في الحق لومة لائم ولو كان أباه الخليفة نفسه هو الجدير بالنصح والمعاتبة ،

فالحق عنده فوق القرابة وفرق السلطة معاً ، لما اجتمعا في أبيه الخليفة.
يرى عبد الملك أباه عمر مرة غاضباً غضباً لم يكظمه ، فعمل فيه ما يعمل الغضب في الناس - وكان عمر فيه حدة تعين الغـضـب عـلـيه إن اشتد - فلم يَهَبْ عبد الملك أن يرد أباه إلى القصد - بعد أن سكن غضبه - فقال له : يــا أمـيـر المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب ما أرى؟.
وكأنما كانت كلماته كماء بارد سكب على وعاء ساخن فردّه إلى اعتدال. وإذا بالخليفة عمر يستعيد كلماته مرة أخرى وكأنما عادت إليه رويته التي استلبها الغضب منه حيناً ، ولمّا سمعها مرة أخرى عجب لابنه ألا يأخذه الغضب؟! وطـبـيـعة الناصح الأمين ، الصادق في نصحه ، أن يأتمر بما يدعو إليه الناس ، وأن تكون خـلاله صــورة عملية لما يلهج به من فضائل يبثها بلسانه بثاً ، وينشرها بعمله نشراً ، وما كــان عـبـد المـلـك إلا ذلك الـناصح الصادق ، إذ قال لأبيه :
(ما تغني سعة جوفي إن لم أردد فيه الغضب حتى ليظهر منه شيء أكرهه) حق ذلك والله؛ فــإن جـوف الإنسان إن لم يسع غضبه المتأجج يردده فيه حتى يذهب عنه ، فقد أعان الشيطان على نفسه .
وقد سـجـل الإمـام المروزي في كتابه (السنة) حواراً فريداً بين الخليفة عمر وبين ابنه عبد الملك يمثل روح تـلـك الأمـة مـن الناس ، أمة خير القرون ، كيف كانت في أخذها للدين بقوة ، وفي إخلاصها لكتابها وسنة نبيها ، لا تهاب فيهما العذاب ولا الموت ، ولكن مالنا نكثر الحدث عن الحوار وما فيه ، فنخلِ بين القارئ وبينه ليشهد ما تحمله الكلمات من معان :
(أنبأنا خارجة بن عبيد الله بـن عمر العمري قال : كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز عندنا فكنا نؤذه ، فلما استخـلـف أبوه قدم علينا وهو ابن تسع عشرة سنة ، وأبوه يروض الناس على الكتاب والسنة وقد قـطـع بـذلـك... فهو يداريهم كيف يصنع . فقال له عبد الملك حين قدم عليه : يا أمير المؤمنين ألا تمضي كتاب الله

وسنة نبيه ، ثم والله ما أبالي أن تغلي بي وبك القدور ؟ فقال له : يـا بـنـي إنـي أروض الـنـاس رياضة الصعب أخرج الباب من السنة ، فأضع الباب من الطمع ، فإن نفروا للسنة سـكـنـوا للطمع ، ولو عمرت خمسين سنة لظننت أني لا أبلغ فيهم كل الذين أريد فإن أعش أبلغ حاجـتـي ، وإن مـت فالله أعلم بنيتي) .
إخلاص الشباب واندفاعه في تطبيق ما يراه حقاً ، وما يؤمن به صدقاً وحكمة الرجال التي تفهم طبائع النفس الإنسانية ومواطن الضعف فيها ، فتعالجها رفيقة بها حريصة عليها ، حتى تصل بها إلى ما تريد ، ولرب دواء متعجل يورث داءاً متمكناً :

داويت متئداً وداووا طفرة وأخف من بعض الدواء الداء

وهـذا عـبـد المـلـك يقـدر قيمة سويعات الحياة وكأنما يستشعر قصر عمره فيحسب للحظة حسابها ، ويحث أبـاه عـلـى الصبر مع الرعية في متابعة شؤونها دون كلل أو ملل.. (عن ابن أبي عبلة قال : جلس عمر يوماً للناس فلما انتصف النهار ضجر وملّ فقال للناس : مكانكم حتى انصرف إليـكـم . ودخل ليستريح ساعة فجاء إليه ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا: دخل . فاستأذن عـلـيه فأذن له فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين ما أدخلك ؟ قال: أردت أن أستريح ساعة . قــال : أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرون وأنت محتجب عنهم ؟ فقام عمر فخرج إلى الناس).
وقد أبت حكمة الله سبحانه إلا أن ترتفع تلك الروح الطاهرة والنفس الشريفة إلى باريها في حياة أبيها ، وعلى حين شام منها حسن الشمائل وصدق الدين وعلو الهمة ، فكان في ذلك الكثير من الخير خير للوالد الذي انضاف فقده لابنه إلى ثقل حسناته في ميزان الله بإذنه، وخير للولد إذ لم تصبه رذاذات السوء التي تتناثر على الأحياء طوعاً وكرهاً وإن جهدوا في الطاعة .
وهاهو الخليفة عمر يعبّر عن ذلـك حيـن دفـن ابنه عبد الملك - الذي كان في العشرين من عمره فيقول : (والله يا بني لقد كنت برّاً بأبـيـك ، والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسروراً بك ولا والله ما كنت قط أشد سروراً ولا أرجى لحـظـي من الله فيك منذ وضعتك في المنزل الذي صيّرك الله إليه).

رحم الله عبد الملك ورضي عن أبيه عمر بن عبد العزيز.

ركن الأدب

عزة نفس

للقاضي: علي بن عبد العزيز الجرجاني

1- يقولونَ لِي : فيكَ انقباضٌ ، وإنَّما رَأوْا رجلاً عن موقفِ الذُّلِّ أحجما

2- أرى الناسَ مَنْ داناهُـمُ هانَ عِـندَهُمْ وَمَـنْ أكْـرَمَـتْـهُ عـزةُ النفـسِ أكْرِما

3- وَلَـمْ أقْـضِ حَـقَّ العِلْمِ إنْ كانَ كُلَّما بــدا طــمـعٌ صَـيَّـرْتُـهُ لِـيَ سُـلَّـمـا

4- إذا قيلَ:هذا مَـوْرِدٌ، قُـلْتُ:قَدْ أرى وَلـكِـنَّ نَـفْــسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّـما

5- وَلَمْ أبْتَذِلْ في خِدْمَةِ العلمِ مُهجَتِـي لأخْدِمَ مَنْ لاقيتُ ، لـكـنْ لأُخْـدَمـا

6- أأشقَى بِهِ غَرْساً ، وَأجنيهِ ذِلَّــةً؟! إذاً، فاتِّباعُ الجَهْلِ قَدْ كانَ أحْزَمــا

7- وَلـوْ أنَّ أهْـلَ العِلمِ صانُوهُ صانهـُـمْ وَلَـوْ عـظَّـمـوه في الـنـفـوس لَعُظِّــمـا

8- ولــكـن أهـانــوهُ فَـهَـانَ وَدَنَّـسُــوا مُـحـَيَّـاهُ بالأطـماعِ حـتـى تَجَـهَّـمـا

معنى الأبيات :

1- يتعجب الشاعر من اتهام الناس له بالـعـزلـة والـبـعـد عن الناس وعدم الانخراط فيما بينهم ، مع أن ابتعاده لم يكن إلا عما يورث نفسه الذل.

2- اتخذت هذا الموقف لأنني رأيت أن كل من رضي بكل مــا عـلـيـه الناس فدخل معهم ووافقهم على كثير مما هم عليه تهون نفسه عندهم ، ومن كان عنده عــزة نفـس تبعده عن مواطن الشبهة أكرمه الناس.

3- والذي يدفع كثير من العلماء إلى مجاراة الناس هو المطامع المادية ، وهي لا تنتهي ولا أستطيع قضاء حق العلم إذا كنت كلما لاح مطمع من هذه المطامع جعلته سلّماً لنفسي.
4- لذلك ، تجاهلت هذه المطامع المُذلّة التي تتنافى مع شرف العلم ، فإذا أشار لي مشير إلى أحد هذه الموارد قلت له: إنني أرى ما ترى، ولكن يمنعني من الورود نفس حرة تصبر على العطش وتتحمله.
5- إن كثيراً من هذه المطامع تؤدي إلى خدمة من لا يستحق الخدمة ، وإلى مداراة أصحاب الـدنـيـا وتسـخـير العلم لمصالحهم ، مع أني لم أتعلم إلا من أجل إكرام نفسي لا إهانتها بذلك.
6- هل أشقي نفسي في طلب العلم ، لأجني لنفسي الذل؟ مادام الأمر كذلك فالبقاء على الجهل كان أفضل من العلم الذي يكون سبباً في هوان صاحبه.
7- لو أن العلماء حفظوا علمهم ، وترفعوا به عما لا يليق لحفظهم ، ولكان ذلك سبباً في صيانتهم ومعرفة الناس حقهم ، ولو نظروا إلى العلم نظرة إعظام وإكبار لكان عظيماً وكبيراً في أعين الناس.
8- ولكن الواقع أن كثيراً من العلماء أهان العلم بتصرفاته ، فهان العلم في نظر الناس وحسبوا أن العلماء كلهم على هذه الشاكلة ، وأصبح العلم وبالاً على العلماء ومصدر شقاء لهم ، حتى ليكاد كثير منهم أن يتمنى لو لم يتعلم.

في جو الأبيات :

هذه أبيات تقف شامخة -بعددها القليل- على امتداد الشعر العربى كله ، بل إنها لتكاد تـكـون كـذلك في الأدب الـعـالـمــي، من حيث بساطة التعبير وصدقه، ومن حيث جمال الأسلوب وترفعه.
وقائلها هو القاضي أبو الحسن، علي بن عبد العزيز الجرجاني، قاضي الريَّ المتوفى سنة 392 هـ ، وكان عالماً، أقرَّ له الناس بالتفرد، وكان إلى ذلك شاعراً محسناً ، وناقداً دقيقاً، وكـتـابــه (الـوسـاطة بين المتنبي وخصومه) من أشهر كتب النقد في الأدب العربى، وهو مطبوع.

وهي أبيات تظل جديدة ، لأنها لصيقة بموضوع حيّ، وقضية مصيرية، وهي علاقة العالم بغيره من الناس ، سواءً ارتفعوا أو سَفلوا.
وسبب آخر يجعلها جديدة دائماً، وهو ما يراه الإنسان في كل عصر من تهاون بعض العلماء وتهالكهم على أقدام أصحاب الدنيا أو السلطة ، ودوسهم المعاني الشريفة التي يقـتـضـيـها العلم.
إن الشاعر -هنا- صاحب قضية ، ذو شخصية واضحة قوية ، رسم حدودها بهذه الأبيات القليلة ، التي تقارب غرض (الفخر) ، ولكنها ما تلبث أن تنأى عما تواطأ عليه أصحاب الفخر التقليدي من الشعراء ، من موضوعات يغلب عليها الادعاء والتطاول.
وبروز شخصية القاضي في هذه الأبيات لم يؤثر على شاعريتها القوية ، فالحِجاج بالدليل والبرهان أضاف إلى جمالها قوة ، وأعطانا حقيقة مفادها : أنه ليس صحيحاً بإطلاق أن شعر العلماء يكون متكلفاً يفتقر إلى الشاعرية الأصيلة.
إن الشاعر يقدم في أبياته (مرافعة) جامعة عن نفسه ، ويدافع دفاعاً فذاً عن قدسية العلم التي وضع تحت وطأة المطامع والزلفى ممن لا يستحق.
هاهم بعض الناس يضيقون ذرعاً بعدم خوضه في غمار الناس ، فيلصقون به تهمة الانقباض والانعزال ، وهى تهمة قاسية ، قد تلقى ظلالاً على شخصية العالم في نظرهم فيسارع إلى تخطئة من اتهمه بذلك ، وتوجيه مابدا من انقباضه التوجيه الصحيح ، فما حسبه هؤلاء انقباضاً ليس على إطلاقه ، وإنما هو بعد عن مواقف الذل ، ومواطن الهوان.
والذي دعا الشاعر إلى هذا الموقف هو رصيد التجارب المتراكمة ، التي علمته أن الناس يستهينون بمن يخوض معهم كل مخاض ، في جدهم وهزلهم ، ويوقرون من يقترب منهم بقَدَر ، ويخاطبهم بحساب.
ولعلنا نلحظ أن هؤلاء المنتقدين يعيبون على الرجل نوعاً من الابتعاد بعينه ، وهو الانكماش عن صاحب السلطان وعدم الانضمام إلى حاشيته ، فيرد عليهم قائلاً :

إن للعلم حقوقاً ، ومن أظهر هذه الحقوق صيانته عن المطامع ، والبعد عن التزلف والترفع به عما لا يليق بحملته، وإذا ما تورطتُ مع من دَلَفَ إلى أبواب السلاطين، أو أهل الدنيا، ابتغاء ما يتساقط من موائدهم من فتات ؛ أكون قد أهدرت حق العلم وخنت الأمانة.
ويبدو أن الشاعر لم ينأ بنفسه عن هذه المواطن لأنه ليس بحاجة إليها ؛ بل هو محتاج إلى ذلك ، ولكنها نفس حرة ، ترى الموارد مُشْرَعَةً ، ولكنها تلمح من وراء هذه الموارد هواناً ومِنَّة ، وضعة وصغاراً ، وإنفاقاً لشيء ثمين في سوق رخيصة ، فتتسلح بالصبر على الظمأ، يدفعها إلى ذلك إرادة قوية ، وشخصية متماسكة ، وهذا معنى يُنْظَرُ فيه إلى بيتّي عنترة السائِرَين :
لا تسـقـني مــاءَ الحياة بذلةٍ بل فاسقـني بالعز كأسَ الحنظلِ
مـاءُ الـحـيـاةِ بذلةٍ ، كجهَنمٍ وجـهـنـمٌ بالـعـز أطـيـبُ منـزلِ
ومـا أبـلــغ كـلـمـة الفضيل بن عياض في هذا المجال:(إذا رأيت العالم يتردد على أبواب السلاطين فاعلم أنه لص).
ثم يلفت الشاعر نظر الذين ينكرون عليه موقفه ، من دهماء الناس ، أو من أدعياء العلم ، الذين يغرهم بريق المناصب عن الحق ، ويغرقون أنفسهم في حمأة التَّرَخُّص والتأويل فيقول:
لم أتعب عقلي ، وأجهد نفسي في طلب العلم من أجل أن أذلها في خدمة من لا يستحق الخدمة طلباً لمال ، أو حرصاً على جاه أو منصب ؛ وإنما جهدت في طلب العلم ليخدمني هؤلاء الذين يراهم كثير من الناس فن مقامٍ من يستحق الخدمة بينما أرى أن مرتبة العلم لا تدانيها مرتبة أبداً. وهذا إبراهيم بن أدهم يقول في ذلك : (لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف) ، يعني : العلم والتلذذ به.
ثم يجسد الشاعر القضية تجسيداً بدهياً واضحاً فيقول :
أأجهد نفسي وأتعبها في تحصيل العلم -كمن يتعب في إنفاق الجهد الجهيد على غراس ، حتى إذا حان إثمار هذه الغراس اجتنى منها ثمر الذل؟! لاشك أن من يعمل لتكون نتيجة عمله هذه النتيجة إنسان أخرق ، وإن عيشاً في ظلال الجهل خير من علم يورث الذل ويكون وبالاً على صاحبه.

وإن ما نرى من هوان العلم والعلماء، (وهذه القضية بدأت من قديم، ثم زادها الزمن ترسخاً ووضـوحــاً إلـى يـومـنا هذا) ونظرِ الآخرين إليهم نظرة ازدراء، سببه نابع من نفوس هؤلاء الـعـلـمــاء الـذيـن لم يصونوا العلم، ولم يحفظوه عن أن يهان ويتمرغ على أعتاب أصحاب الـدنــيــا ، فـلـو اعـتقد هؤلاء العلماء شرفَ العلم ، وعظمَتَهُ في نفوسهم ؛ لعظّموه في واقع حياتهم، ولكنهم وضعوه في غير موضعه، واستهدفوا به ما رخص من الأغراض، وما قرب من الغايات، وسخّروه من أجل الدنيا، فهان في نظهر الناس، ممن لا يعرف للعلم حقيقة؛ فأهانوا حَمَلَتَهُ ، وعدّوهم من سَقَطِ المتاع .

وبـعـد، فـهـذه أبــيـات القاضـي الجرجاني، تقف معْلَمَةً بارزة في أدبنا العربي، بصدقها وجلالها وعظمة موضوعها ، وما أجدر طلبة العلم ، بُلْهَ العلماء ، أن يتخذوها دليلاً لهم في حياتهم ، وخلال علاقتهم بالناس ، لأنها نفحة من الأدب الخالد الذي استظل بظل مفاهيم الإسلام العظيمة.

منصور الأحمد

الهوامش :

1- انقباض : انزواء ، وابتعاد عن الناس . أحجم : توقف ولم يتورط .
2- داناهم : اقترب منهم وخالطهم دون تحفظ .
3- صيرته : جعلته .
8- محياه : وجهه . تجَهَّم : أصبح مشوهاً عبوساً غير جميل .

مجاعة وخيراتنا نهب لغيرنا

كلما تناقلت وسائل الإعلام أخبار المئات بل والآلاف من الذين يموتون جوعاً في السودان أو الحالة الاقتصادية المنهارة في أكثر الدول العربية تذكرت مقالة ذلك اليهودي الحاقد: (جوناثان هيلغي) حيث يقول : (هل أوصانا الله بأن نقود هذا العالم أم نأكله) إن رائحة الحقد والكراهية على بني البشر تفوح من مقالة هذا اليهودي ، وقد كان اليهود يطبقون هذه المقالة عمليا ولسان حالهم يقول : فلتسحق البشرية ، وليعيش شعب الله المختار ،

ويطلق هذا الساخر مقالة أخرى حيث يقول : (تصوروا لو أن عدد اليهود يساوي عدد سكان الصين ؟) ويترك هذا التساؤل بدون إجابة ونترك للقارئ تصور ما سيحدث للعالم لو أن عدد اليهود يساوى عدد سكان الصين !! .

أعود مرة أخرى إلى اقتصاد الدول العربية ، التي حباها الله بالموارد الاقتصادية الضخمة من نفط ، ومعادن وأرض خصبة ، ومصادر للحياة ، وأيدى عاملة رخيصة ، وقد تتوفر كلها في بلد واحد والنتيجة : ديون خارجية تبلغ (100) مليار دولار . (نقلاً عن جريدة القبس 21 - 7 - 86) .

وسواء أكانت هذه الديون لبنوك غربية أو للبنك الدولي، ففي نهاية المطاف تصب في جعبة اليهود، وحين تعجز أي دولة عن تسديد الديون في الزمن المتفق عليه تبدأ عملية ما يسمى جدولة الديون وتأجيل التسديد مع زيادة الفائدة على الدين ، وحين تتأزم الأمور وتعجز الدولة عن تسديد الدين يتدخل صاحب الدين ويرسم خطة اقتصادية للــدولـــة يكون أهم بنودها تخفيض العملة وزيادة الضرائب ورفع الدعم عن السلع المدعومة، وبالذات الغذائية منها ، وتتكرر هذه الصورة مع كل دولة من دول العالم الثالث المدينة .

ومع كل هذا تـعـد أية جهة تنجح في الحصول على قرض من بنك غربي أو من البنك الدولي ، أو تنـجح فـي إعادة جدولة الديون القديمة تعد ذلك انتصاراً ونجاحاً مع أنه - والله - قــيــد جــديــد يضاف إلى القيود التي سـبـقــته ليبقى الاقتصاد مكبلاً بأغلال ثِقال ، مفاتيحها في جنيف ولندن وفرانكفورت وواشنطن وســواهـــا من عواصم ومدن المال في العالم الغربي وتبقى هذه السياسة سنين طويلة وتطبق بحذافيرها ، بحيث يصبح الناس ويمسون على هاجس : هل يجدون خبزاً أم لا ؟ .

فأنى قلبت البصر في العالم من حولك وجدت كل بلدٍ يشكو من ضائقة اقتصاديةٍ معينة مع وجود هذه الثروات والإمكانات التي سبق ذكرها آنفاً وأصبح يصدق فينا قول الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وقبل هذا صدق فينا قول الله سبحانه وتعالى : ((وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ

بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ والْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)) [سورة النحل :112] ما ذاك إلا لانسلاخنا من ديننا الذي هو عصمة أمرنا وهو ما صنعته أيدينا ، واليهود يخططون لمثل هذا الوضع الاقتصادي المزري لإحكام السيطرة على الشعوب وإذلالها ، حيث يعود هيلغي مرة ثالثة فيقول : (الجوع هو أفضل وسيلة لقيام الصلح بين العرب وإسرائيل) .
وبعد ما تقدم هل صحيح أن اقتصادنا بأيدينا ؟!!.

مشاهداتي في بريطانيا

د. عبد الله مبارك الخاطر

عشت في لندن حوالي ثلاث سنين ، كنت خلالها أتابع دراستي في الطب النفسي وكان لي نشاط إسلامي في مسجد من مساجدها ، مسجد (بيكام Peckham) وكان هذا المسجد يـضـم نـخـبـة خـيـرة مـن الشباب من مختلف البلدان العربية . وقد شاهدت في العاصمة البريطانية أموراً تستحق أن يكتب عنها .
وسـوف أعـرض مـا شاهدتـه عـلـى شـكـل حلـقـات مـتـوخياً فـي عـرضي البساطة والعبرة .. والله الموفق.

خريج كامبردج

كـنـت مـضـطـراً في البداية إلى دراسة اللغة الإنجليزية - رغم أني كنت قد درست الطب باللغة الإنجليزية - من أجـل اختبار (الزمالة) ذلك لأن الإنجلـيز يريدون من الجميع أن يكـتـبـوا ويـقـرأوا كما يكـتـب المـواطـن الإنجليزي ويقرأ، ولما كنت أعمل في المستشفى في الصباح، فليس أمامي إلا أن أطلب مدرساً يعلمني فن كتابة المقالات، والعادة المتبعة عندهم أنك إذا أردت شيئاً ما فما عليك إلا أن تعلن إعلاناً صغيراً على واجهة محل تجاري أو على لوحة إعلانات لإحدى الكليات، ويأتيك الجواب سريعاً عن طريق الهاتف.
جاءني مدرس إنجليزي متخرج من جامعة كامبردج في الأدب الإنجليزي وأخذ يدرس لي مرتين في الأسـبـوع .. وبـعـد أن تردد على بيتي خمس مرات سألني على استحياء فقال:

إن زميلاتي يسألنني كيف ترددت على بيت صاحبك خمس مرات ولم يقدم إليك زوجته لتتعرف عليها .
وكان سـؤالـه نـقـطـة بـدايـة في الحديـث عن أمور أخرى غير الدراسة وكنت أنـتـظر مثل هذه الفرصة لأنني أعرف بأن الإنجليز لا يحبون أن تبادرهم بالحديث عن أمور لم يسألوا عنها وعليك أن تنتهز الفرصة فتجيبهم على تساؤلاتهم إذا سألوا .
قلت له ما موجزه: إن ديننا يأمرنا بحـفـظ المرأة وسـتـرها، ولا يجوز أن تخالط أو تجالس غير محارمها ... ثم سألته عن الاختلاط والخلوة ولو كانت بين رجال ونساء متزوجين ألا يكون هناك مجال للخيانة الزوجية ولو بنسبة 5%؟! .
فأجاب : نعم بل وأكثر من هذه النسبة فسألته مرة أخرى : أليست هذه العلاقات غير المشروعة من أهم أسباب الفساد وتفكك المجتمع؟!.
قال :بلى .
قلت ما خلاصته: هذه حكمة واحدة من أحكام ديننا الذي يأمرنا بحرمة الاختلاط .. ومن ثم فالمرأة مكرمة عندنا ولها حقوق كثيرة سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً ، فولي أمرها ينفق عليها ويعمل من أجل سعادتها ، وبين الأسرة في ديننا من المحبة والتعاون والتكافل مالا يتصوره مجتمعكم .
قال : هذا جميل ومنطقي ... وقد لمست الصدق فيما يقول .
وعدت أسأله : ماذا تعرف عن الإسلام؟!
فأجاب : خميني وقذافي !!.
فظننته يمزح ولكن تبين لى أن هذا كل ما يعرفه عن الإسلام، ولا يعرف خريج جامعة كامبردج [!!] أن هناك كتاباً اسمه القرآن الكريم ، ولا نبياً اسمه محمد - صلى الله عليه وسلم- .. كان الرجل يتحدث أمامي وكأنه طفل صغير، ومعذرة منه الأطفال في بلادنا فهم أكثر منه علماً بدين الله .
قلت: لا أدري من المسؤول عن كونك لا تعرف عن الإسلام شيئاً؟!. هل هي جامعاتكم ومناهجكم، أم أنت الذي ارتضيت لنفسك هذا الحال .. كيف لا يدرسون لكم ديناً يدين به ألف مليون

من البشر في مختلف بلدان العالم ، ولبلدكم علاقات تاريخية ومصالح مع بلدان العالم الإسلامي .
وقبل أن يغادر الأستاذ [!!] منزلي قدمت له مجموعة من الكتب عن الإسلام .. ثم اتصل بي فيما بعد وأخبرني بأنه قد قرأ هذه الكتب وسوف يقرأ كتباً أخرى عن الإسلام .
قارئي الكريم: كم تمنيت أن يكون عندي متسع من الوقت لأتابع مثل هذا الرجل، ولكن ماذا أفعل وأنا مرتبط بعمل شاق يستغرق معظم وقتي، ونشاطي في الدعوة الإسلامية أقدم فيه الأهم على المهم. ولكن هل يعرف (الببغاوات) في دول العالم الثالث حقيقة الغربيين؟!
لو كان خريج جامعة كمبردج مهندساً أو طبيباً لالتمسنا العذر له، ولكنه تخرج من كلية تدرس علوم اللغة الإنجليزية وآدابها، ويفـترض أن يدرس شيئاً يسيراً عن الإسلام ..
أما الذين يكثرون في مؤلفاتهم الأدبية والتاريخية من الاستدلال بأقوال المستشرقين فلينظروا ماذا يدرس المستشرقون مثل هذا الخريج عن الإسلام .
اللهم إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

معالم حول كتابة التاريخ الإسلامي (2)

محمد العبدة

على ضوء هذا التفـسـيـر الإسلامي للتاريخ(1) يجب أن نفهم تاريخنا ، فهو في جانب من جوانبه جزء من التاريخ العام للبشرية ، ينطبق عليه ما ينطبق على الأمم الأخرى من سنن نشوء المجتمعات وارتقائها، يـنـطـلـق عـلـيــه ما ينطلق على الأمم الأخرى من سنن نشوء المجتمعات وارتقائها، أو انحطاطها وتخلفها، ويخضع للعقوبات الإلهية التي تحل بأهل المعاصي والذنوب وأهل البطر والترف .
وفي الجانب الآخر له مـمـيـزاتـه وخـصـائـصـه، فهو مثلاً أقرب للصحة من غيرة ، وذلك لارتباط نشأته بتدوين سنة الرسول -

صلى الله عليه وسلم- وسيرته وهذا مرتبط بدين هذه الأمة، فكانت العناية بصحة الأخبار ودقتها قد وقع فيه التشويه والروايات وهذا التشويه مـن الـسـهــولة بمكان كشف زيفها ، ثم إن ظروف نشأة الأمة وعوامل تكونها ، والرسالة التي تـحـمـلـهـا وتــرى أن من أوجب الواجبات نشرها وتبليغها للأمم الأخرى ، كل هذا يجعل لكل أمة خلفيات معينة تساعد على فهم تاريخها ، فالدارس لتاريخ أوربا الحديث لابد أن يستحضر الحروب الصليبية وأثرها على الغرب النصراني عندما احتك لأول مرة بالحضارة الإسلامية .

إن ذكر مميزات تــاريـخ أمــة أو خصائص هذه الأمة لا يعني بحال النظرة الفوقية المرضية كما وصف القرآن الـكـــريم الأمم السابقة عندما قالوا : ((نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وأَحِبَّاؤُهُ)) [المائدة 18] ((وقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى)) [البقرة 111] ، ولكننا نـصـف واقعاً قد وجد ، ونتكلم عن تاريخ أمة مسلمة مؤمنة قد نشأت ، والذي ينكر هذا ، ويريد أن يبدأ من الشك والهدم أو ينظر إلى هذه الأمة من خلال نظرياته التاريخية ، أو ينظر إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- كرجل عبقري وحدّ أمة وأقام دولة ، ويسمي هذا (نظرة حيادية) إلى أمثال هؤلاء لا نملك إلا أن نقول :((ولِكُلٍّ وجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا)) [البقرة 148] وهل تريدون باسم الحيادية أو الموضوعية أن تهدموا تاريخنا أم تريدون أن نهضم حقوقنا! ونحن إنما نكتب لدارس يحب الحقيقة أو لمسلم يريد التعرف على تاريخه .

بعض خصائص هذه الأمة :

أولاً : إن أولـى هــذه الخصائص أنها أمة انبثقت فجأة ومن خلال (كتاب) وهو الــقــرآن الكريم، الذي شكلها وصاغها أثناء تنزله لمدة ثلاثة وعشرين سنة، ومن خلال القدوة محمد صلى الله عليه وسلم وجيل الصحابة الذي رباه في كنفه، هذه الأمة لم تمر بأدوار وأحقاب متطاولة حتى اسـتـقــرت على ما هي عليه وأنتجت حضارة هي الحضارة الإسلامية وإنما نشأت في بيئة عذراء، ومن قبائل هي أقرب للفطرة من الشعوب المجاورة ثم صاغها الوحي فخرجت زرعاً ((يُـعْـجِـبُ الــزُّرَّاعَ لِيَغـِـيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ)) [الفتح

29] هذه النبتة الأصيلة قد استعصت على مؤرخ كـ (توينبي) أن يجد لها حلاً أو تفسيراً فحاول متعسفاً أن يرجعها إلى ما أسماه بـ (المجتمع السوري) أو العنصر الآرامــي الذي بلغ أوجه في عهد سليمان (عليه الــســلام) واعـتـبـر أن المجتمع الإســلامي هو وليد هذا المجتمع (السوري) هذا التحليل العجيب قد يعذر فيه توينبي لأنه لا يريد أن يـفـهـم كـيـف تـتـكـون أمة وتنشأ من خلال (كـتـاب) ، بـيـنـمـا نــرى نحن أن هذا النشوء السريع والقوي الذي تشكل بالوحي ورجل الفطرة هو الذي يفسر لـنـا أسـبـــاب الصراع الطويل بين مفهوم الدين كما فهمه العربي في الحجاز والجزيرة العربية يــومـهـا ، وكما فهمه العلماء المحدّثون بعد ذلك ، وبين الذين التقطوا مخلفات الفرس والـيـونـان حين دخلت على هيئة (علم الكلام) و(الصوفية) و(أبهة الـمـلـك) وزاحـمـت بـسـاطـة الإسلام وصفائه، وهو الذي يفسر لنا تلك المحاولات الماكرة والمستمرة من أعداء الإسلام للانحراف به يمنة أو يسرة مرة باسم التطور والحداثة ، ومرة بـاســم الـتـعـقـل، وأخـرى باســم التأويل، لأنهم يريدون أن يتلاعبوا بالقرآن كما تلاعب النصارى بأناجيلهم ويغيظهم كـثـيراً أن يـبـقــى الإسلام حتى اليوم واضحاً كما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- كما يغيظهم أنه لا تـوجـد أمة من أمم الأرض اليوم تستطيع أن تكون مستقلة في عقائدها وتشريعاتها وكل أنماط حـيـاتــها مثل الأمة الإسلامية ، فهي تملك شخصية مستقلة في كل شؤون حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وهذا ما لا يريده الغرب والشرق المتسلط على الشعوب ، المغرور بقوته وعلمه .

هذه الحقيقة جعلت (توينبي) يذكرها مادحاً - وقلما يمدح الإسلام - يقول ذاكراً التحدي الشيوعي الذي يواجه المجتمع الغربي :

(وبفرض انتصار الشيوعية على الرأسمالية انتصاراً عالمي الطابع ، لا يعني هذا انتصار ثقافة أجنبية ، طالما أن الشيوعية - عكس الإسلام - تستمد أصولها من مصادر غربية - باعتبارها - يقيناً - رد فعل ضد الرأسمالية الغربية التي تحاربها) (2) .

والذين يزعمون أنهم يملكون شخصية مستقلة مثل الهنادكة الذين يقدسون غاندي ، هم في الحقيقة أسرى الحضارة الغربية، يقول

توينبي:(ومن ثم نجد غاندي ينشئ حركة سياسية ذات برنامج غربي مداره تحويل الهند إلى دولة مستقلة برلمانية ذات سيادة) (3) والحقيقة أن الـثـقـافـــة الغربية تهيمن على أكثر شعوب الأرض ولا ينجو منها إلا من يملك مقومات الـثـقـافــة الـمـتـكـاملة والتصور الشامل المخالف لثقافة الغرب والذي لا يتحقق وجوده إلا في الإسلام .

ثانياً : وهي أمة غير متقطعة ومستمرة بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فهي لا تضعف في جانب إلا وتقوى في آخر ولا تهزم في ناحية إلا وتنتصر في ناحية أخرى . واستقراء التاريخ الإسلامي يؤيد هذا ، فعندما ضعفت الدولة العباسية ظهر السلاجقة في خراسان وأنقذوا الخلافة من سيطرة الباطنيين ، وكان من آثارهم بعدئذ السلطان العادل نور الدين محمود الذي تصدى للهجمة الصليبية على بلاد الشام ، كما ظهر الغزنويون في الأفغان والهند ، وكان مؤسس الدولة محمود الغزنوي من السلاطين الذين يحبون العلم والجهاد في سبيل الله ، وعندما ضعف الإسلام في المغرب وفي مصر ظهر صلاح الدين الأيوبي واستعصت القسطنطينية على الأمويين ولكنها استسلمت للعثمانيين الذين حققوا بشارة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بفتحها ، وعندما أخرج المسلمون من الأندلس كان الإسلام قد انتشر بواسطة الدعاة في وسط أفريقيا وفي جزائر إندونيسيا . وإذا كانت قوى الشر قد تكالبت على المسلمين في العصر الحديث ، وكالت لهم ضربات شرسة ، فإننا نرى كيف يظهر الإسلام ويقوى في أماكن لم يكن أحد يتوقع أن يظهر فيها ، كل هذا تحقيقاً لدعاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- كما ثبت عنه أنه قال : »سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها«(4).

ثالثاً : وهي أمة متجددة موعودة بأن يقيض الله لها دائماً علماء أو أمراء يجددون لها أمر دينها ، يقيمون العدل وينشرون العلم

ويبعثون السنن كما جاء في الحديث : »إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها«(5).
وفى الحديث الآخر : »مثل أمتي مثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله«(6) وقد ظهر من العلماء والأفراد في كل عصر ما يحقق هذه البشارة كالأئمة الأربعة ، وأئمة الحديث كالبخاري ومسلم وأبي داود وأمثالهم من أئمة الفقه والاجتهاد في كل عصر كما ظهر فيها من الخلفاء والملوك من يجاهد في سبيل الله ويحب العلم ويقيم العدل ، ومن يراجع كتب التاريخ والتراجم فسيجد هذه النماذج دالة على ما ذكرنا ، وإذا كان العلم قد ضعف في القرون المتأخرة فقد وجد من السلاطين من كان همه الدفاع عن العالم الإسلامي وحمايته من الأخطار الخارجية ، وإن كنا لا نبرر تقصيرهم في نشر العلم ، ومع ذلك فإن هذا الضعف العلمي تلاه في العصر الحديث نهضة علمية إسلامية طيبة ، ووجد من العلماء ما يذكرنا بعصر ازدهار العلم في القرون الأولى ، ومن عجائب القرآن أننا نجد في كل عصر من يستخرج منه فوائد جديدة لم تخطر علي بال السابقين ، وهذا من بركة هذه الامة.
ومن هذه الزاوية فإننا نخالف الأستاذ مالك بن نبي عندما قسمّ التاريخ الإسلامي تقسيماً حاداً وكأننا في معمل كيمياء أو في غرفة رسم هندسي ، إذ قسمّ هذا التاريخ إلى ثلاث مراحل : المرحلة الروحية وتنتهي عند معركة صفين ، والمرحلة العقلية وتنتهي في عصر دولة الموحدين في المغرب ، ومرحلة الغرائز وهي ما بعد الموحدين وحتى العصر الحديث ، إن هذا التقسيم وبهذا التعميم ، يلقي ظلالاً سوداء حول الفترة التي يسميها (ما بعد الموحدين) كما يغفل عن فكرة التجديد الدائم ، فينطبع في ذهن القارئ أن فترة طويلة جداً من التاريخ الإسلامي هي فترة انحطاط وتخلف ، لا تحمل ماءاً ولا تنبت كلأ ونحن نقول إن عوامل الضعف بدأت تنخر في الأمة الإسلامية من قبل عصر الموحدين إلى أن وصلت إلى ذروتها في نهاية الدولة العثمانية ، فالخط العام يسير نحو الضعف وإن كانت الدولة العثمانية في مراحلها الأولى كانت دولة إدارية عسكرية من الطراز الأول ، والبعث العلمي الذي بدأ في بعض الأقطار الإسلامية وكذلك

الحركات المجددة - مثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - إنما ظهرا إبان ضعف الدولة العثمانية ، فالخير مستمر ، بإذن الله ، والطائفة التي معها الحق هي في الأمة الإسلامية ، وليس هناك طائفة في أمة من الأمم اليوم تحمل ميراث الحق ، ميراث النبوة غير هذه الطائفة.
رابعاً : وهي أمة منتخبة لا تجتمع على ضلالة ، كما جاء عند عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : »إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة ويد الله على الجماعة ، ومن شذّ شذّ إلى النار «(7).
أما الأمم الأخرى فقد تجتمع على ضلالة كإجماع الأمم النصرانية على تحريف الكتاب وتبديله واختراع البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان والأمة الإسلامية إذا وقع فيها شيء من هذا الانحراف فسنجد عشرات بل مئات من العلماء من يتصدون له ، منافحين عن نقاء الشريعة ، فهي من هذا الجانب - ورغم ما وقع فيها من الضعف والتفرق - من أعقل الأمم وأسلمها إذا ما قورنت بما تفعله الأمم الأخرى من سخافات وضلالات في حياتهم الخاصة والعامة ، والتقدم العلمي الذي أحرزه الغربيون لم يحصنهم من الوقوع في تخبط وصراع في حياتهم الاجتماعية والفكرية ، وما تفعله الأمم الوثنية أعجب وأعجب ، وإذا كان النقص قد وقع في القرون المتأخرة فلا شك أن القرون الأولى هي من خير الأمم كما ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : »خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم«(8).
وهذا الفضل في الدنيا له مثيل في الآخرة فإن أجر الأمة الإسلامية ضعفا أجر الأمم الأخرى كما جاء عند عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما- قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو قائم على المنبر يقول : »إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا ، فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر فعجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين ، فقال

أهل الكتابين : أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً ، ونحن كنا أكثر عملاً قال الله عز وجل : »هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا ، قال : فهو فضلي أوتيه من أشاء«(9).

هذه الخصائص لابد من ذكرها ، حتى لا نبخس الناس أشياءهم ، ففي غمرة السرد التاريخي قد يغمط أصحاب الفضل فضلهم ، وربما بدعوى عدم التحيز ، أو التظاهر بالحياد.

وإذا كانت هذه الخصائص تعطي بعض الضوء لفهم التاريخ الإسلامي ضمن الأطر العامة ، فإن المتأمل لهذا التاريخ سيجد أمامه أحداثاً هامة وظواهر خاصة هي معالم في طريق الباحث والدارس تساعد على فهم أعمق ووضوح أكثر وهو ما يأمله كل مسلم يبحث عن الماضي ليبني الحاضر والمستقبل ، وهذا ما سنتكلم عنه في العدد القادم إن شاء الله تعالى .

يتبع

الهوامش :

1- انظر ما كتب في العدد الأول عن هذا الموضوع .
2- توينبي : مختصر دراسة للتاريخ 1/341 ط 2 نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر .
3- المصدر السابق 1/343 .
4- سنن الترمذي 3/319 ط دار الفكر 1983 أبواب الفتن .
5- أبو داود : كتاب الملاحم 4/480 .
6- جامع الأصول 9/201 قال عنه الترمذي حديث حسن .
7- جامع الأصول 9/196 أخرجه الترمذي وقال محقق الجامع : هو حديث مشهور المتن ذو شواهد متعددة .
8- صحيح البخاري 5/62 باب فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-
9- صحيح البخاري 1/232 كتاب مواقيت الصلاة ط 4 / عالم الكتب .

مفهوم الجاهلية في الشعر الجاهلي

محمد الناصر

ملخص ما سبق نشره:

انتهت المقالة الأولى إلى الكلام عن الحروب في الجاهلية، فـتـحـدث الـكـاتـب عن أسباب الحروب ، وعن أثرها على موضوعات الشعر المختلفة، فبيّن أن الحرب وما يكـتـنـفها من موضوعات كانت من أهم دواعي الشعر، فالفـخـر نما في ظل الحروب والمعارك، وآخر ما استشهد به على ذلك ، أبيات من معلقة عمرو ابن كلثوم وهاهو يستأنف بحثه حول ذلك.

(فالمعلقة جميعها صــيــاح شــديد على هذا النحو الذي يرفع قبيلته تغلب على كل قبائل نجد شرقيّها وغربيّها ، فكل من حدثـتـه نفسه منهم بقتالها كان مصيره الهلاك والدمـار، ويقول : إن حياتهم سلسلة من الحروب.. واعترف لأعدائه بشجاعتهم ، فهم يقــتُــلــون ويقـتـل منهم من قومه ، فثيابهم جميعاً ملطخة بالدماء..)(1).

وهناك كثير من الشعراء وصفوا خصومهم بالشجاعة وتسمى قصائدهم بالمنصفة .

المُنْصِفات من القصائد :

من ذلك قــول الـمـفَـضَّـل النُّكْري يصف موقعة بين عشيرته من بني نُكْرة ابن عبد القـيـس وعشيرة عمرو بن عوف يقول :(2)

وكـم من سـيـد مـنـا ومـنـهـم بـذي الطَـرْفـاء منـطـقه شهيق
فـأشـبـعـنا السباع وأشبـعوها فـراحـت كـلـهـا تِـئِـقٌ يـفـوقُ
فـأبـكـيـنـا نـسـاءهـم وأبـكـوْا نـسـاءً مـا يـسـوغ لـهـن ريـقُ

وصف مثير للمعركة ، فيه إنصاف للخصوم ، ورجولة تبتعد عن الادعاء الفارغ ، تعجز عن هذه الرجولة جعجعة الجاهلية الحديثة ، وفي كل شرٌ.

ومن المنصفات أيضاً قصيدة للعباس ابن مرداس يصف فيها حرباً شديدة وقعت بين قومه بني سليم وبين قبيلة مراد ، وكان الشاعر رئيسهم عندما غزا مراداً بقيادة عمرو بن معد يكرب.. وفيها إنصاف للخصوم وشجاعتهم منها:(3)

فلم أرَ مثل الحيِّ حياً مصبِّحاً ولا مِثْلَنا -لما التقينا- فوارسا
فـإنْ يقـتـلوا منا كريـمـاً فـإنـنا أبـأنـا بـه قـتـلى تُذِل المعاطسا

وهذا الشعر الذي يشيد بالأمجاد والانتصارات، جعل شعر الحماسة من أروع الموضوعات، ولعله استغرق كثيراً من القصائد الجاهلية ، فهم يتغنون ببطولتهم وأنهم لا يرهبون الموت (ويرتفع هذا الغناء بل هذا الصياح في كل مكان بحيث يخيل إلينا أنه لم يكن هناك صوت سواه ، ولعل ذلك ما دفع أبا تمام إلى أن يسمي مجموعته من أشعارهم وأشعار من خلفوهم باسم الحماسة.. فهي ديوانهم الذي يسطر تاريخهم ومناقبهم ومفاخرهم ومن قرأ الأصمعيات والمفضليات يجد هذا الفخر وما يطوي فيه من حماسة يدور على كل لسان)(4).

ونختم حديثنا عن المنصفات من خلال شعر الحماسة والفخر بقول الحصين بن الحمام المري عندما يندد بخصمه، ويصفه بالجبن، ويحاول أن ينصفه، ويصور لنا المعركة، وشدة البأس فيها، وأنهم مع خصومهم كانوا يعزون بعضهم، وتسود بينهم المودة والوئام: (5)

ولـمـا رأيت الود ليس بنافعي وأنْ كان يوماً ذا كواكب مظلماً
يُفَـلِّـقْـنَ هـامـاً من رجالٍ أعزةٍ علينا وهم كانـوا أعـقَّ وأظـلـما
وجـوه عـدو والصـدور حديثة بـودٍ فـأودى كـل ود فـأنـعـما
نطاردهم نستنقذ الجرد كالقنا ويستَـنقـذون السمـهري القوّما

لقد كان هذا الشعر من فخر وحماسة ، يصور الذكريات الدامية ، والانتصارات الغاضبة للعرب في جاهليتهم، وكانت لذة النصر تحرك المشاعر، وشدة الغيظ والحقد تلهب النفوس

الهجاء يشارك في المعارك :

ولقد حاول الشعراء أن يهاجموا خصومهم ، وأن يتهموهم بالجبن والفرار والهزيمة ، ولم يسلم الأشراف ولا السادة من اتهامهم بالعار والخزي ، وكان تأثير الهجاء عنيفاً على النفوس قوياً على المهجوّين ، وكثيراً ما بكى بعض السادة من ألم الهجاء ، فقد بكى علقمة بن عُلاثة وعبد الله بن جدعان ، ومخارق بن شهاب وهم من أشراف قومهم وسادة قبائلهم(6).

وكان اللسان ينكأ بهجائه في الأعداء نكأ السيوف والرماح ، وكان المتحاربون وكذلك الشعراء يتبارون في أيهم يكون أنفذ سهماً ،

حتى لا تقوم للشريف وقبيلته قائمة. ومن هنا اقترن الهجاء عند عبد قيس بن خُفَاف البُّرجُمِيِّ بالسيف والرمح إذ يقول :(7)

فأصـبحتُ أعددت للنائبا تِ عِرضاً بريئاً وعضباً صقيلاً
ووقع لسانٍ كـحـد السنان ورمـحـاً طـويل القـناة عـسولا

وكأنما أصبح همَّ الهاجي أن يضرب عدوه الضربة القاضية. بل لكأن مناقبه كانت تؤذيهم فكانوا يلطخونه بالعارٍ ، ومن هنا لا نعجب إذا وجدنا شاعراً يهجو النعمان بن المنذر ، ويتهمه أنه لم يولد لِرِشدة ، وأنه ليس سليل المناذرة إنما هو سليل صائغ بالحيرة ، يقول عبد قيس بن خفاف البرجمي أيضاً :(8)

لـعـن الله ثـم ثـنـى بـلـعـن ابــــن الصـائـغ الظـلـوم الجـهـولا
يجـمـع الجـيـش ذا الألوف ويغزو ثـم لا يـرزأ الـــعـــدو فـتـيـلا

الرثاء :

ولقد بكى الشعراء صرعى المعارك بكاء مراً ، وندبت النساء الثكلى ، وكن مازلن ينحن على القتيل حتى يُثأر له ، والخنساء كانت تخرج إلى عكاظ تندب أخويها ، وهند بنت عتبة كانت تنوح على أبيها. وكانت النسوة يشققن جيوبهن ، ويلطمن الوجوه ، ويقرعن صدورهن ، ويعقدن مأتماً من العويل والبكاء ، ومن أكثر النساء بكاءً ونشيجاً الخنساء حيث تبكي أخاها صخراً ، ومن رائع ما ندبته به وقد قتل في إحدى المعارك :(9)

قـذىً بـعـيـنـك أم بـالـعـيـن عُـوّارُ أم ذرَّفَتْ أنْ خلت من أهلها الدارُ
كـأن عـيـنـي لذكـراه إذا خـطـرتْ فيضٌ يـسـيـل على الخدين مِدْرار
تبكي خُـناسُ وما تنفـك ما عمرت لها عـلــيـه رنـيــنٌ وهـي مـقــتـار
وإنَّ صـخـراً لـتـأتــم الـهــداةُ بــه كــأنــه عــلــمٌ فــي رأســـه نـــارُ

ويرثي أبو دؤاد الإيادي من أودى من شباب قبيلته وكهولهم فيقول في قصيدته :(10)

لا أُعـِـذُّ الإقــتــار عُــدْمــاً ولكن فَـقْـدُ مـن قـد رزئـتـهُ الإعـــدام

ويستمر يبكي فيهم الرؤوس العظام وخلالهم وصفاتهم ...
ويقول : إنهم أصبحوا هاماً وصدى ...

سلـط الدهـرُ والمـنـونُ عـليهمْ فـلهم فـي صدى المقابر هامُ
فـعلى إثـرهم تسـاقـط نفـسـي حـسـرات وذكرهم لي سَقام

وأروع الرثاء ما ندب به الأبطال في حومات القتال ، لأن الشعراء في بكائهم وفي تعداد مناقب الموتى يثيرون الأحقاد ويشحذون العزائم ويهيجون القبيلة للحرب ويدعون إلى الأخذ بالثأر.(11)
فهذه أم ندبة ترثى ابنها وتلوم زوجها حذيفة على قبول الدية :(12)

حذيفة لا سلمت من الأعادي ولا وفـيـت شـر الـنـائـبات
أتـقــتلُ نُدبةً قـيـسٌ وترضى بأنـعـام ونــوق سـارحـات
أما تخشى إذا قال الأعادي: حذيـفـة قلبه قلب البنات
فـخـذ ثـأراً بأطـراف العـوالي وبالبيض الحداد المرهفات
وإلا خـلـني أبـكـي نـهـاري ولـيـلـي بالدموع الجاريات
لـعـلّ مـنـيـتـي تـأتي سريعاً وترقـبني سهام الحادثات
أحـبّ إلـى مـن بـعـل جبان تـكـون حياته أردا الحياة

والمهلهل بن ربيعة الذي عرف بمراثيه لكليب يعدد مناقب أخيه ويذكر عزته وعزمه.. يندبه كقائد للخيل يوم المعركة:(13)

أضحت منازل بالسلان قد درسـت تبكي كليباً ولم تـفــزعْ أقـاصيهـا
الحزم والعزم كانا من صـنـيـعـتــه مـا كـل آلائــه يـــا قوم أحصيها
القائد الخيل تردي فـي أعـنـتـهـازهواً إذا الخيل لَجَّتْ في تعاديها

وشعر الرثاء الباكي كثير ، كثرة القتلى والمعارك الدامية. هذه هي الجاهلية قتال ، وغزو وحرب ، وبكاء وحماس ومفاخر ومنافرة.

المنافرات :

مفردها منافرة ، وسميت هكذا لأنهم كانوا يقولون عند المفاخرة : إنا أعز نفراً.. ونافر معناه حاكم في النسب (14). وقد كثرت المفاخرات والمنافرات في الجاهلية ، إذ يزعم كل فريق أنهم

أكثر عدداً وأعز نفيراً ، وكان غالب مفاخراتهم منافراتهم بالشجاعة والكرم والوفاء وذكر سادتهم وشجعانهم وأشرافهم ، وقد ذكر صاحب بلوغ الأرب نماذج كثيرة من هذه المنافرات كمنافرة يمن ومضر ، ومنافرة الأوس والخزرج ، ومنافرة عامر ابن الطفيل مع علقمة بن عُلاثة ، ومنافرة هاشم وأمية(15).
ومن أشهر المنافرات منافرة عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة تنافرا على رئاسة قومهما وذهبا إلى هرم بن قطبة الفزاري فقال لهما هرم :
إنكما قد تحاكمتا عندي وأنتما كركبتي البعير الأدرم (16) الفحل تقعان الأرض وليس منكما واحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه وكلاكما سيد كريم. ولم يفضل واحداً منهما على صاحبه كيلا يجلب بذلك شراً بين الحيين ونحر الجزر وفرق على الناس.
وعاش هرم حتى أدرك خلافة عمر رضي الله عنه فقال : يا هرم أى الرجلين كنت مفضلاً لو فعلت؟ قال : لو قلت ذلك اليوم عادت جذعة ولبلغت شَعَفات هجر. فقال أمير المؤمنين : نعم مستودَع السر أنت يا هرم مثلك فليستودع العشيرة أسرارهم ، وقال فيه الأعشى :

حكمـتـمـوه فقـضى بينكم أبـلـج مـثـل القـمـر الباهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غـبن الخاسر(17)

وهكذا تجد أن هذه المنافرات تجسد لنا تلك العقلية التي تعتز بالعدد والكثرة ، والشجاعة والكرم ، وأن المنافر وقبيلته أفضل القبائل. ومن هنا عاب القرآن هذا الشأن فقال تعالى :
((أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ)) والله لا يحب كل مختال فخور.

طريقة المقاتلة وأدوات القتال :

لقد أسهب الشعر الجاهلي في وصف دقائق الحرب ، طرقها وأدواتها وأوقاتها(18).
وقد كان قتالهم بالكر والفر أحياناً ، وقد يتخذون وراءهم حواجز من الظعائن أو الإبل يرجعون إليها ، وعرفرا أحياناً الحروب المنظمة. وكانت المبارزة تسبق الحرب في بعض الحالات قال عنترة :(19)

سأخرج للبراز خَلَّي بالٍ بقلب قُدًّ من زُبَرِ الحديد
وفى غزوة أحد تقدم علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بالراية متحدياً المشركين وخرج إليه أبو سعيد بن أبي طلحة ليبارزه فضربه علي وصرعه(20).
وقد أغاروا بالليل والنهار ، وربما كان أكثر الغارات ليلاً والقوم رقود وكانوا يمتنعون عن القتال في الأشهر الحرم وفي ذلك حكمة بالغة في أمة اعتادت شنَّ الغارات ، واعتادت السطو والسلب ، حيث يتمكن العقلاء من محاولات الصلح حتى لا يسترسلون في التفاني وليتمكن الإنسان من قضاء حاجاته وأمور معاشه.
كان العرب في جاهليتهم يحرصون على أدوات القتال ، يحملونها لا تفارقهم وافتخروا بأنواعها ، وجودتها ، فبها يغيرون ، ويثأرون ويغنمون ، لقد تحدثوا في شعرهم عن السيوف والرماح والدروع بأنواعها ، وعن السهام والقسي بأشكالها ، وفاخروا بالخيول الأصيلة ، فهذا عنترة يفتخر بأن وسادَه درعه وسيفه ، وبأن مقيله ظهر حصانه :(21)

أيا عبل ما كنت لولا هواك قليل الصديق كثير الأعـــادي
وحقـك لازال ظهر الجواد مقيلي وسيفي ودرعي وسادي

ومن أهم وسائلهم الخيول إذ أعزوها إعزازاً عجيباً ، وافتخروا بها لأنها وسيلة الكر والفر ، وعرف العرب بالمحافظة على أنسابها(22) ، وعدم الخلط بين سلالاتها ، وكان إطلاق الأسماء على الخيل عادة معروفة ؛ ليميزوا بين الأصيل والهجين ، وقد ذكر صاحب أنساب الخبل(23) أكثر من مائة فرس من أفراس الجاهلية والإسلام مع نسبتها إلى أصحابها من ذلك أعوج ، كان سيد الخيل المشهورة ، كان لملك من ملوك كندة ، والغرب والوجيه ولاحق والمذهب وكتوم. قال طفيل الغنوي :

بنات الغرب والوجيه ولاحق وأعوج تنمي نسبة المتنسب

ومنها داحس والغبراء ، والسلس فرس لمهلهل بن ربيعة التغلبي. وقــد ذكــرت الـمـفـضليات(24) عدداً منها مثل: العرادة للكلحبة والرحالة فرس عامر بن الطفيل.. والـكــلام يــطـول في إعـزاز العرب للخيل والشعر فيها كثير وكان أشراف العرب يخدمونها

بأنفسهم، ويفتخرون بكثرة العناية بها فالأعرج المعنّى يعجب لأن زوجته تعيب عليه إيثار فرسه الورد عليها باللبن ويقول : إن فرسه أفضل من زوجته ساعة الفزع ووقت الغارة :(25)

أرى أم سـهـل مـا تـزال تَـفَـجَّـعُ تـلـوم ولا أدري علامَ تَـوَجَّـعُ
تلوم على أن أعطِي الورد لِقْحةً(26) وما تستوي والورد ساعة تفزع

ويلوم عنترة امرأته لاعتراضها على سقائه اللبن وإطعامه الطعام :

لا تذكري مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرب
إن الغبوق له وأنت مـسـوءة فتأوهي ما شئت ثم تحوبي(27)

أنذر عنترة زوجته أن يهجرها كأنها جرباء وأصر أن يكون اللبن شراب فرسه في كل مساء وإن حزنت وتألمت.

لقد أكثر الشعراء من وصف الخيل وما ذلك إلا لأنهم أمة جلاد وكفاح فهي أول عدتهم وهي حصونهم المنيعة(28).

وقد ورد الثناء عليها في القرآن الكريم والحديث الشريف قال تعالى : ((ومِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِـهِ عَـدُوَّ اللَّهِ وعَدُوَّكُمْ)) وفي الحديث : »الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة«.

إن الحياة الحربية، والغارات، جعلت عرب الجاهلية يمجدون الأبطال الشجعان، والـفـرسـان الكماة، حتى كثر الفرسان المشهورون وضربت بهم الأمثال وقد ترجم صاحب بلوغ الأرب لعدد كبير منهم(29).

فربيعة بن مكدم فارس كنانة ، وكان بنو فراس بن كنانة أنجد العرب وفيهم يقول علي -رضى الله عنه- لأهل الكوفة : » مَنْ فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخيب..ووددت -والله- أن لي بجميعكم وأنتم مائة ألف ثلاثمائة من بني فراس بن غنم«.

وعنترة بن شداد العبسي ، وقد شُهد له في حروب داحس والغبراء وأخباره مشهورة أضحت تشبه الأساطير.

وزيـد الخيل وهو زيد بن مهلهل الطائي الذي أسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيـد الـخـير ، وعامر بن الطفيل فارس بني عامر وكان عامر من أشهر العرب بأساً ونجدة وأبعدها اسماً كما يذكر ابن الأنباري في شرح المفضليات .

ومنهم عــمـــرو بن معد يكرب ينتهي نسبه إلى كهلان بن سبأ ، ودريد بن الصمة من بني جشم ، وعمرو بن كلثوم صاحب المعلقة المشهورة التغلبي وهو أحد فُتّاك العرب وهو الذي قتل عمرو ابن هند الملك .

والحارث بن عُباد من فرسان ربيعة المشهورين ، ومهلهل بن ربيعة التغلبي وهو عدي بن ربيعة صاحب حرب البسوس الشهيرة.

ومن طرائف أخبار الحارث بن عُباد والمهلهل أن الأول كان قد اعتزل حرب البسوس حتى قتل المهلهلُ ولدَه (وقيل ابن أخيه) واسمه بجير ، وقال عندما طعنه بالرمح وقتله : (بؤ بشسع نعل كليب).

وعندما علم الحارث بذلك غضب ودعا بفرسه النعامة فجزّ ناصيتها وقال :(30)

قـربـا مـربـط الـنـعـامة مني لقحت حربُ وائل عن حيال
لم أكن من جناتها علم اللــه وإنـي بحَـرِّها الـيـوم صال

وقاد قبائل بكر وقاتل تغلب حتى هرَب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب.

وكان أول يوم شهده الحارث بن عباد هو يوم تحلاق اللمم ، وفيه أسر الحارثُ مهلهلاً وهو لا يعرفه فقال له : دلني على عدي بن ربيعة وأخلي عنك فقال له : عليك العهد بذلك إن دللتك عليه ، قال : نعم ، قال : فأنا عدي فجز ناصيته وتركه وقال فيه :

لهف نفسي على عدىّ ولم أعِـ ـرف عدياً إذ أمكنتني اليدان(31)

وهذا وفاء نادر ، ورجولة تستحق الإكبار ، وتتضاءل أمامها مواقف الرجال من أتباع الجاهلية الحديثة .

ولم يتركوا وسيلة إلا حاربوا بها حتى الحجارة وكثيراً ما ساعدتهم نساؤهم بها . قال بعضهم :

فإن تمنعوا منا السلاح فعندنا سـلاح لـنـا لا يُـشـتـرى بالدراهم
جلاميد أملاء الأكف كـأنـهـا رؤوس رجال حُلقت بـالمواسم(32)

د- الأسرى والسبايا :(33)

للحروب نتائجها المريرة قديماً وحديثاً ، وطالما فخر شعراء الجاهلية بأخذ الأسرى لأنه برهان على النصر ، وسوْق النساء

والأطفال سبايا حرب ، فالمهلهل يفتخر بأنهم أسروا أعداءهم وشفوا من ذلك الصدور :(34)

فجاءوا يهرعون وهم أسارى نقودهم على رغم الأنوف

وافتخر عمرو بن كلثوم بعودتهم ظافرين معهم الأسلاب والسبايا والأسرى :

فآبوا بالنِّهاب وبالسبايا وأبْنا بالملوك مُصَفّدينا(35)

وقد يسخرون الأسرى عبيداً ، أو يوردونهم حتفهم ، وفى يوم أوارة الأول أسر المنذر بن ماء السماء من بني كنانة أسرى كثيرة ثم أمر بهم فذبحوا على جبل أوارة وأمر بالنساء أن يحرقن(36).

وقد يطلقون الأسير ويمنون عليه بذلك بَعد أن يجزوا ناصيته ، وكان حرصهم على جز ناصية الشريف شديداً ذلةً له ، واعتزازاً بالعفو عنه بعد المقدرة ومن أخبارهم أن زيد الخيل أسر عامر بن الطفيل وجز ناصيته ثم خلى سبيله(37) .

كان شعراء الجاهلية يفتخرون بجز الناصية بعد الاحتفاظ بها لإظهارها عند اللزوم مباهاة وافتخاراً ، تقول الخنساء :

جززنا نواصي فـرسـانـهـم وكانوا يظنون أن لن تُجَزَّا

وقالت في أخيها صخر :

رداد عادية في فكاك عانيةكضيغم باسل للقَرن هصّار(38)

وقد يطلق الآسر أسيره جزاء مدحة يسمعها، ويـؤثـرهــا على الفداء فقد أسر صعصعة بن محمود أحمرَ بن جندل فبعث إليه سلامة بن جندل أبياتاً منها :

فإن شئت أهدينا ثناء ومدحةً وإن شئت عدّينا لكم مائة معاً

فأطلقه آسره وقال : المدحة والثناء أحب إلينا(39).

وكان العرب أحياناً يفدون الأسرى وأكبر قيمة دفعت في الفداء ثلاثمائة بعير دفعتها أم بسطام بن عبد الله فداء لابنها(39) .

وقيل إن الأشعث بن قيس الكندي غزا مذحجاً فأُسِر وفدى نفسه بألفي بعبر(41).

وقد يستولدون السبايا ، ولكنّ العربية السبية ما كانت لتنسى قومها وإن طال العهد ، ويروى أن عروة بن الورد كان قد أصاب في بعض غاراته امرأة من كنانة ، واتخذها لنفسه فأولدها وحج بها ، ولقيه قومها ، وقالوا : فادنا بصاحبتنا فإنا نكره أن تكون سبية

عندك قال : على شريطة أن نخيرها بعد الفداء .. وكان يرى أنها لا تختار عليه ، فرضوا بذاك ، وفادوا بها ، فلما خيروها اختارت قومها ثم قالت : أمَا إني لا أعلم امرأة ألقت ستراً على خير منك .. ولقد أقمت معك وما يوم يمضي إلا والموت أحب إلي من الحياة فيه ، وذلك أني كنت أسمع المرأة من قومك تقول : قالت أمَةُ عروة كذا ، وقالت أمته كذا والله لا نظرت في وجه غطفانية فأرجع راشداً وأحسن إلى ولدك(42) .

وقال فيها قصيدة طويلة يتحسر عليها منها:

ولو كاليوم كان عليّ أمـري ومَـــنْ لــك بـالـتــــدبـر في الأمـور

إذن لملكتُ عصمة أم عمرو على ما كان من حَسَكِ الصدور(43)

وكثير من سادات العرب في الجاهلية كانوا أبناء سبايا مثل دريد بن الصمة فأمه ريحانة بنت معد يكرب أسرها الصمة ثم تزوجها فأنجبت دريداً وإخوته وهي التي يقول أخوها عمرو في حديث إسارها :

أمـن ريـحـانة الـداعـي السـمــيـع يـؤرقــنــي وأصـحــابـي هـجوعُ

سـبـاهـا الـصـمـة الجُـشَـمِـيُّ غصباً كـأن بـيــاض غـرتـهـا صـــديــع

وحـالـت دونـهـا فـرســان قـيــس تَكَشَّفُ عن سواعدها الدروع(44)

وقد تلقي المرأة السبية بنفسها من على ظهر هودجها كما فعلت فاطمة بنت الخرشب أم الربيع بن زياد العبسي. . عندما أسرت رمت بنفسها على رأسها من البعير فماتت خوفاً من أن يلحق بنيها عار .

هـ - الدعوة إلى نبذ الحرب (45) :

إن القتال في الجاهلية يكاد لا يهدأ ، فالأرواح تُزهق والنساء ترمل ، والبيوت تخرب ، والثأر يزيد الحروب اشتعالاً ، في أرض لا تعرف الهدوء ووسط صحراء لا ترحم .

والشعر الجاهلي خير مصدر لتصوير هذه المعارك ، وتلك المخاوف والويلات ، فعامر بن الطفيل يفتخر ببطولته وبطولة قومه ثم يعدد انتصاراتهم :(46)

ونحن صـبـحـنا حـي أسمـاء بالقنا ونـحـن تـركـنـا حـيّ مُـرة مأتما

بـقـرنا الحـبـالـى من شنوءة بعدما خبطن بِعِنفِ الريح نهداً وخثعما

ونـحـن صـبـحنا حي نجران غارةتـبـيـل حـبـالاهـا مـخـافـتـنا دما

كانت رعونة الجاهلية تجبر إليها من اعتزل القتال قسراً ، كما حصل في موقف الحارث بن عُباده عندما اعتزل حرب البسوس وقد مرت قصته فيما سبق .

على أن هذا الصخب وذلك الضجيج الذي شمل الحياة بكل مظاهرها لم يمنع الأصوات القليلة من المناداة بالرجوع إلى حياة الأمن والاستقرار ، ومن المعلوم أن العرب يقبلون الصلح ويرضون بالديات إلا بعد تفاقم الأمر ، وبعد أن تأتي الحرب على الحرث والنسل، أما قبل ذلك فقد كانت سبة وعاراً عندهم .

من المواقف النادرة في مساعي الصلح ، ما قام به هرم بن سنان بن عوف من بني مرة ، لأنهما تحملا القتلى من عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء التي دامت أربعين سنة ، وكانت ثلاثة آلاف بعير أدياها في ثلاثة أعوام . . فمدحهما زهير بن أبي سُلمى ، وخلد ذكرهما في معلقته :(47)

سعى ساعـيا غيظ بن مرة بعدمـا تـبـزل مـا بـين الـعـشـيرة بالدم

يمـيـنـاً لـنـعم السـيدان وُجِدْتـُما عـلـى كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عـبـساً وذبـيان بـعـدما تـفـانوا ودقـوا بيـنهم عطر مَنْشِمِ

وقد قلتما:إن ندرك السلم واسعاً بـمال ومـعـروف من القـول نسلم

هـذه الحـروب أتـاحـت لـزهـيـر أن يـتـأمـل الحرب وويلاتها وأن يعظ وينصح ، يقول في مـعلـقـتـه :(48)

ومـا الـحرب إلا ما علمتم وذقتم ومـا هو عـنها بالحديـث المرجّم

مـتى تبـعـثـوها تبـعـثوها ذميمة وتـضـرَ إذا ضـريـتـمـوها فـتضرم

فـتـعركـكم عرك الرحى بثفـالها وتلـقـح كِـشـافاً ثم تحمل فتُـتْـئِم

فـتـنـتج لـكـم غلـمانَ أشأم كلّهم كأحـمـر عاد ثم ترضع فـتـفـطـم
فـتـغـلـل لـكم ما لا تـغـل لأهلها قرى بالـعـراق مـن قـفـيز ودرهم
هذه الأبيات أجاد فيها زهير للتنفير من الحرب ، فيقول : لقد جربتم الحرب وذقتم ويلاتها ، والحرب لا تلد إلا الحرب لأن العداء تتوارثه الأجيال بعد الأجيال ، والحرب تلد توأمين ، أي أن شرها يتضاعف ، ولن يكون المولود إلا موتوراً ناقماً ولن تكون الأجيال المولودة إلا مشائيم ، كأن كلاً منهم أحمر عاد الذي عقر الناقة فأهلك القوم .. فالإنتاج لن يكون إلا ما تكرهون ، لا كإنتاج وغَلة قرى العراق من الحبوب والدراهم .
ولقد أنصف عنترة العبسي عندما قيل له صف لنا الحرب فقال : أولها شكوى وأوسطها نجوى ، وأخرها بلوى.
كان الأشراف يتوسطون في الصلح كما عرفنا ، ويحتسبون دماء القتلى من الطرفين ومن زاد قتلاهم أخذوا ديتهم : للصريح ديته وللحليف ديته وهي نصف دية الصريح ، كما حدث عندما حكمت الأوس والخزرج (في حروب سُمير) ثابت بن المنذر بن حرام والد حسان بن ثابت -رضي الله عنه-(49) .
وكان تقسيمها ألفاً للملوك ومائة للصريح وخمسين للحليف ، وكانت تقدر بالإبل .
للبحث صلة

الهوامش :

1 - العصر الجاهلي : شوقي ضيف .
2- الأصمعيات : ص 199 (والظرفاء : موضع المعركة) - التئق : الممتلئ - يفوق : أي أخذه البهر .
3- الأصمعيات رقم القصيدة (70) ص 204 - أباءه به : قتله به والبواء : الكفء - المعاطس : الأنوف .
4- العصر الجاهلي : شوقي ضيف ص 202 .
5- المفضل الضبي ص 64 رقم القصيدة (12) .
6- الحيوان للجاحظ وانظر العصر الجاهلي : شوقي ضيف .
7- المفضليات ص 386 رقم (117) - العضب : السيف القاطع - الصقيل : المصقول الحاد - العسول : اللين المضطرب للينه .
8- الحيوان : 4 / 379.

9- ديوان الخنساء - (العوار : الرمد - مدرار : كثير - خناس : الخنساء - مقتار : ضعيفة - العلم : الجبل) .
10- الأصمعيات : ص 185 رقم (65) - الإقتار : قلة المال وضيق العيش . العدم والإعدام : الفقر - الهام : ج هامة وكانوا يزعمون أن عظام الميت أو روحه تعيدها هامة فتطير فحرم ذلك الإسلام ونفاه .
11- الفروسية في الشعر الجاهلي : 265 وما بعدها.
12- لويس شيخو : شعراء النصرانية 1/166 .
13- المصدر السابق .
14- بلوغ الأرب للالوسي 1/288 .
15- انظر بلوغ الأرب للألوسي 1/278 - 307 .
16- والجمل الأدرم : الذي سقطت أسنانه .
17- بلوغ الأرب للألوسي : 1/278 - 307 .
18- انظر الحياة العربية من الشعر الجاهلي من 232 حتى ص 264 .
19- الديوان ص 54 - قدّ : قطع - زبر الحديد : قطع الحديد .
20- السيرة النبوية لابن هشام 3/19 .
21- ديوان عنترة : ص 53 .
22- الفروسية في الشعر الجاهلي : ص 139 وما بعدها وانظر بلوغ الأرب : خيل العرب المشهورة ص 104 وما بعدها .
23- ابن الكلبي : أنساب الخيل .
24- المفضليات ص 32-33 ، 37.
25- شرح ديوان الحماسة للمرزقي 1/349 نقلاً عن الحياة العربية .
26- لقحة : لبن الناقة .
27- ديوان عنترة: 19 - وانظر الحياة العربية من الشعر الجاهلي. والتحوب: التوجع.
28- انظر معلقة امرئ القيس في وصف الحصان والأصمعيات رقم 39 .
29- بلوغ الأرب : الألوسي من ص 124 - 160 الجزء الثاني .
30- الأصمعيات رقم 17 - ولقحت الحرب أي هاجت بعد سكون .

31- بلوغ الأرب : 2/147 ، 156 .
32- شرح الحماسة للمرزوقي : 1/118 والمواسم : مواسم الحج .
33- انظر الحياة العربية من الشعر الجاهلي : الحوفي من (264 - 272) .
34- شعراء النصرانية 2/180 .
35- معلقته : تبريزي ص 280 .
36- أيام العرب : 99 يوم أوارة الأول .
37- الأغاني 16/51 .
38- الديوان : 145 ، 136.
39- ديوان سلامة بن جندل : ص 22 نقلاً عن الحياة العربية .
40- أيام العرب : ص 200 .
41- الميداني في مجمع الأمثال 2/11 .
42- عن الشعر والشعراء 2/680.
43- المراد بمسك الصدور : الغل والعداوة .
44- الأغاني : 9/2 ساسي .
45- الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص 272 وما بعدها . الفروسية للقيسي ص 106 وما بعدها .
46- ديوان عامر بن الطفيل : 117 عن الفروسية في الشعر الجاهلي (وحي أسماء : يعني فزارة - وشنوءة ونهد وخيثم من القبائل اليمينة، وتبيل : أي ترمي أولادها من مخافتنا) .
47- شرح القصائد العشر للتبريزي ص 135 .
(1- تبزل : تشقق
2- أي نعم السيدان وجدتما لأمر أبرمتماه أو لم تبرماه ولم تحكماه أي على كل حال من شدة الأمر وسهولته .
3- منشم : امرأة عطارة تحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها ليتحرموا به ثم خرجوا إلى الحرب فقتلوا جميعاً فتشاءمت العرب بها) .
48- المصدر السابق ص 140 - 142 .
49- أيام العرب : يوم سمير : ص 66 .

مفهوم السببية عند أهل السنة

طارق عبد الحليم

تعتمد الأمم الناهضة في بناء ذاتها، وشحذ قوتها، على ركيزتين أساسيتين أولهما: صحة المفاهيم التي تبنى عليها تلك النهضة، والـثـانـيـة: إخـلاص ومصداقية الفئة التي تحمل عبء النهوض بالأمة والسير بها في طريق الرقي والتقدم المادي والسلوكي جميعاً .

وعلى أسـاس مـن صـحـة الـمـفـهوم، ووضوح الفكرة، تصح الوجهة وتتضح معالم الطريق، وتـكـون الأمـة عـلـى بـيـنة من غايـتها وأهدافها بلا زيغ ولا انحراف كما أن زاد الإيمان والإخـلاص لـــدى الرجال القائمين على النهضة يُعدّ الوقود الدافع للحركة والاندفاع بها نحو الهدف، واجتياز العتبات والمحن التي تعرقل تلك المسيرة .

وحين نسبر الواقع الإسلامي المعاصر بهذين المقياسين الموضوعيين نشعر - بـرغـم تـبـاشـير الـنهـضـة الإسلامية اللائحة في الأفق بفضل الله تعالى ومنّه - بألم يعتصر الفؤاد اعتصاراً، لما نجده من اضطراب في المفاهيم، واختلاط في الفكر، وتشتت في الجهد وتفرق عن الصف، ثم انهزامية منكرة في بعض النفوس، يقابلها حماس متهور غير مدروس لدى البعض الآخر
أسباب عديدة أدت بالواقع الإسلامي إلى ما آل إلـيـه من حـال، منها ما يـتـعـلـق بصحة المفهوم ، ومنها ما يتعلق بعزائم الرجال .
ولسنا بصدد الحديث - في هذا المقال - عن الأمر الثاني المتعلق بالرجال ، فإنه أمر وعر المسالك ، خفيّ الدروب ، متعدد الشعاب ، له ظاهر يفضح مكنون الباطن ، وله باطن يشرح جليّ الظاهر ، وإن كانت لنا إليه رجعة في موضع مستقل نطل فيه إطلالة قصيرة على ظواهر الأقوال ، وواقع الأفعال ، ودلالات الأمرين على العزائم . وإنما سيقتصر بحثنا على بعض المفاهيم التي أصابها الخلط والاضطراب في الفكر الإسلامي ، وانعكاس ذلك انعكاسا مباشراً على الواقع الإسلامي عموماً ، وعلى مسار النهضة الإسلامية المرتقبة خصوصا ، جاهدين في تصحيح تلك

المفاهيم ، وتوجيهها الوجهة الصحيحة التي تعين على بلوغ الهدف وإدراك الغاية بعون الله تعالى .
ومن تلك المفاهيم - بل من أهمها وألصقها بالواقع الإسلامي على الإطلاق - مفهوم السببية - أو العليِّة كما يطلق عليه باحثو الأصول - الذي ينتظم بشموله السنن الطبيعية والاجتماعية للحياة والأحياء على السواء ، والذي يبحث -بكلمات موجزات - في ترتيب النتائج على أسبابها ، وارتباط العلة بمعلولها ، سواء في مجال المادة الجامدة وحركاتها ، أو أفعال الأحياء وتصرفاتهم ، كما يتناول - بشكل أساسي - فكرة التلازم بين العلة والمعلول عند اكتمال الأسباب ، وعوامل تخلف النتيجة في حالات معينة وما يتعلق بتصور مفهوم خصائص المادة وطبائعها ، وقيام الإرادة الإنسانية واستقلالها ومدى تدخلها في ترتب النتائج على الأسباب التي أدت إليها . وقد اعتمد مفهوم السببية على عدد من القضايا والأفكار التي تعتبر روافد لتطور ذلك المفهوم ، كمسألة خلق الأفعال ، ومفهوم القضاء والقدر ، ومجال الإرادة الإنسانية ، وقضية التحسين والتقبيح كما أن ذلك المفهوم قد ارتبط بأمر يعتبر غاية في الأهمية في فهم العقيدة ذاتها من جهة ، وفي منهج استقاء الأحكام الشرعية من النصوص من جهة أخرى ، ألا وهو مبدأ تعليل الأحكام الإلهية ، أو - بعبارة أخرى - وجود الحكمة في أفعال الله وأحكامه ، وأنه سبحانه لا يفعل إلا لحكمة بالغة يقتضيها علمه وعدله وحكمته ، مما يضطرنا إلى أن نمسّ تلك القضايا مسّاً رقيقاً موجزاً ، متحاشين الدخول في التفصيلات والتفريعات التي كادت - بسبب علم الكلام - أن لا تنتهي.
ولسنا في هذا المقال بمؤرخين لفترة معينة من الزمان ، أو لفرقة محددة من الفرق ، إنما ستجدنا -كما هو الأنسب لغرضنا - قاصّين آثار الفكرة منذ نشأتها وتطورها عبر مساحة من الزمان تمتد منذ نهاية القرن الأول الهجري ، وحتى نهاية القرن الرابع الهجري ، من خلال آراء الفرق التي أطلت برأسها بعد انشعاب الآراء ، وتفرق الأهواء ، كالجبرية ، والقدرية المعتزلة ، ثم الصوفية التي حازت قصب السبق في إهدار قيمة اتخاذ الأسباب تذرعاً بالتوكل ، ومذاهب الأشاعرة الذين قابلوا غلو المعتزلة بغلو

مقابل في نفي العلة والسبب ، ثم توسط أهل السنة في ذلك الأمر كله .

القدرية وخلق الأفعال :

في بداية الربع الأخير من القرن الأول الهجري كان (معبد الجهنيّ) (1) يتنقل بين العراق والحجاز مروّجاً لبدعته - التي كان أول من أحدثها في الإسلام - وهى نفيه للقدر ، وإنكاره للقضاء الإلهي بزعم أن الله سبحانه لا يقدّر على الناس ما ينهاهم عنه ، ولا يقضي عليهم بما يحاسبهم عليه . وعن معبدٍ هذا أخذ (غيلان الدمشقي)(2) وراح ينشر تلك الآراء التي ذهب ضحيتها حين قتله هشام بن عبد الملك عليها بدمشق .
وعن هذين انتقلت بدعة القول بنفي القدر إلى المعتزلة وظهرت كأصل من أصولهم الخمسة (3) منذ زمن (واصل ابن عطاء) (4) (وعمرو بن عبيد) (5) وحتى (القاضي عبد الجبار) (6) المعدود في الطبقة الحادية عشرة منهم - وقد أطلقت المعتزلة على أصلهم ذاك (العدل) واتفقوا على أن : (العبد قادر خالق لأفعاله ، خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثوابا أو عقاباً في الدار الآخرة ، والرب تعالى منزه عن أن يضاف إليه شر أو ظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً ولو خلق العدل كان عادلاً) (7) .
وقد تطور ذلك القول بعدم خلق الله سبحانه لأفعال العباد ، وأنها لا تدخل تحت المشيئة الإلهية ، بل هي بمحض الإرادة والاختيار الإنساني ، ومن خلق العبد نفسه ، إلى القول بعدم قدرة الله تعالى على خلق الشر ، أو الأفعال الموصوفة بالمعصية والكفر من العباد كما ذهب إليه (النظام المعتزلي) (8) وفي مقابل تلك الآراء التي بلغت الغاية في إنكار عموم المشيمة الإلهية ، وقدرة الله سبحانه وخلقه لكافة الموجودات ، والتي جعلت العبد خالقا مستقلا لأفعاله تحت دعوى الحرية الإنسانية ، ومنطقية الثواب والعقاب ، قام (الجهم بن صفوان) (9) في أوائل القرن الثاني الهجري ينادي بآراء تقع منها على طرف النقيض ، فزعم أن العبد لا دخل له في أفعاله ، ولا اختيار ولا استطاعة ، بل هي فعل الله على الحقيقة والإنسان مجبور عليها ، كأفعال الجمادات سواء

بسواء ، قال : (إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله ، ولا قدرة ولا إرادة ولا اختيار . وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما بخلق في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازا كما تنسب إلى الجمادات ، كما قال أثمرت الشجرة وجرى الماء ، وتحرك القِدْرُ ، وطلعت الشمس ، وغربت . . . والثواب والعقاب جبر ، كما أن الأفعال كلها جبر)(10).

وفي منتصف القرن الثاني الهجري أطلق ضرار بن عمرو - وهو رأس الضرارية المعدودة لدى كتاب الفرق من الجهمية المجبرة - القول بأن الله سبحانه خالق لأفعال العباد حقيقة (وأنها مكتسبة لهمم)(11) ، وكان هذا القول إرهاصاً بظهور مذهب ثالث - على يديّ أبي الحسن الأشعري في منتصف القرن الثالث كان أوسع انتشاراً وأعمق تأثيراً من سابقيه - الجبرية والمعتزلة .

الأشاعرة وخلق الأفعال :

رأى الأشعري ما ساد بين المعتزلة من آراء أدت إلى إهدار المشيئة الإلهية في سبيل إثبات العدل الإلهي ، بل إنه عاش ما يقرب من أربعين عاماً داعياً لذلك المذهب الاعتزالي ، وما ضاد ذلك لدى الجبرية من إهدار للعدل في سبيل المشيئة الإلهية المطلقة ، فاختار القول (بالكسب) الذي ردّده من قبله ضرار . ابن عمرو من الجبرية ، وأن الله سبحانه خالق لأفعال العباد ، وهم (يكتسبونها) !.

ولو أخذنا في استعراض آراء الأشاعرة في معنى (الكسب) لوجدنا اضطرابا شديداً في تحديد معناه ، مما ينبئ بأنه قد وضع أصلاً كمجرد اسم لا يحمل معنىً معيناً مقصوداً ، ثم حاول كلٌّ أن يحد له حدّاً وينحل له معنى ، حسب ما يؤديه إليه نظره ، فقد ذهب الأشعري - كما رواه عنه الشهرستاني في الملل والنحل - إلى التفرقة بين أفعال العبد الاضطرارية كالرعدة والرعشة ، وبين أفعاله الاختيارية ، وبناء عليه فقد عرف (المكتسب) أي الفعل - بأنه هو (المقدور بالقدرة الحادثة) (12) أي : الفعل هو ما يفعله المرء بقدرته المخلوقة له . ثم عاد فنقض ما قرره مرة أخرى حيث قال : إنه لا تأثير للقدرة الحادثة -أي التي خلقها الله

في العبد - في إحداث الفعل (والله سبحانه أجرى سنته بأن يخلق عقيب القدرة الحادثة - أي المخلوقة للعبد - أو تحتها أو معها : الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له ، وسمى هذا الفعل كسباً) (13) .
وفى هذا النص ينقض الشهرستاني ما سبق نقله عن الأشعريّ إذ أنه يقرر أن العبد لا أثر لقدرته - وإن أقر أن الله سبحانه يخلق له قدرة - على أي فعل وأن الفعل إنما يخلقه الله عقب خلقه للقدرة في العبد وليس مسبباً عنها ، ثم ننتقل إلى آراء القاضي (أبي بكر الباقلاني) (14) ، فنرى أنه مع تقريره أن القدرة التي يخلقها الله سبحانه للعبد لا دخل لها في إيجاد الفعل ، إلا أن (كون الفعل حاصلاً بالقدرة الحادثة أو تحتها ، نسبة خاصة تسمى ذلك كسبا)(15) ، ويحاول ابن القيم أن ينفذ إلى معنى لذلك الأمر الذي هو (الكسب) عند الباقلاني فيقرر أن مقصد القاضي هو (أن القدرة التي خلقها الله تعالى للعبد - وإن لم تؤثر في الفعل - إلا أنها مؤثرة في صفة من صفاته ، وتلك الصفة تسمى كسباً ، وهي مُتعلّق الأمر والنهي ، والثواب والعقاب)(16) .
لكنه يفند ذلك الزعم ويبيّن تفاهته قوله: إن تلك الصفة التي يكون بها الثواب والعقاب، إما أنها داخلة تحث القدرة الإنسانية ، وهو ما نفاه القاضي ؛ أن يكون للقدرة الإنسانية أي دخل في الفعل أو أنها لا تدخل تحت القدرة ، فكأنه (لم يعد للعبد اختيار ولا فعل وكسب البتة) وهو عين القول بالجبر(17).
والإمام (أبو المعالي الجويني) (18) - وهو من أكابر الأشاعرة - قد أنكر نظرية (الكسب) قائلاً : إنه لا معنى له عند التحقيق بل إنه مجرد (اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى ، وذلك أن قائلاً لو قال : العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب ، والرب سبحانه خالق لما العبد مكتسبٌ له ، قيل له : فما الكسب وما معناه ؟!) (19) .
ثم يخرج الجويّني -في النظامية- بقول قد أصاب فيه وأجاد -كما علّق عليها بن القيم- وهو أن الله سبحانه يخلق للعبد قدرة ، وهذه القدرة مؤثرة في إيجاد الفعل عند اختيار العبد بإقرار الله سبحانه

-أي خلقه لتلك القدرة- كما سنرى في حديثنا عن مذهب أهل السنة والجماعة في المسألة
والحق أن (الكسب) الذي ذهب إليه الأشاعرة ، لا معنى له ولا حد ، وصدق من قال : إن محالات الكلام ثلاثة : كسب الأشعريّ ، وأحوال أبي هاشم ، وطفرة النظام !.

مسألة التحسين والتقبيح :

ثم إنه كان من تفريعات مذهب المعتزلة - الذي يخرج بالعقل عن دوره المرسوم وحدّه المعلوم - أن العقل يمكنه أن يدرك الحسن والقبح في الأشياء والأفعال عامة مستقلاً عن الشرع ، فهو يدرك - وحده - قبح الزنى وشرب الخمر ، كما يدرك - وحده - حسن إنقاذ الغرقى وبذل الصدقة ، ذلك أن تلك الصفات -الحسنة والسيئة - صفات ذاتية لا تحتاج في تعريفها إلى وساطة رسل أو وحي من السماء ، حتى الإيمان بالله تعالى وشكره على نعمائه يدرك بالعقل قبل التكليف ، والإنسان محاسب عليه قبل ورود الشرائع(20).
ولم يكن من الأشاعرة - إزاء الغلو الاعتزالي -إلا أن قالوا بالتحسين والتقبيح الشرعيين ، فأنكروا كل دور للعقل في إدراك الحسن والقبح في الأفعال والأشياء ، وذهبوا إلى أن الأفعال كلها مستوية في أصلها - أقبح القبائح وأحسن الحسنات - ولا فرق بينها إلا بمجرد الأمر والنهي الإلهي - فلو أن الله تعالى أمرنا بقتل الأنبياء وارتكاب الزنا لكان ذلك حسناً، ولو نـهـيـنـا عن الخير والعدل لكان الخير والعدل سيئاً إذ أن الأعمال لا تحمل في ذاتها خيراً ولا شـــراً ، والعقل إذن -لا يسـتـقـل- بل لا يـــدرك أصلاً - الخير أو الشر والحسن أو الـقـبـح(21).
وكان مما حداهم إلى تأصيل ذلك الأصل الفاسد هو خلطهم بين الإرادة والمحبة الإلهية ، فقد اعتقدوا أن الله سبحانه إن أراد أمراً كان ذلك الأمر محبوباً له ، مرضيّاً عنده ، وإن كره أمراً لم يشأه ، ولم يخلقه أصلاً ؛ إذ كيف يخلق أمراً ويشاؤه وهو يكرهه ويبغضه؟! أفيكون أمراً في كون الله مكروها لله مفعولا برغم مشيئته ؟! .

هـكـذا تـصـوروا المسألة حين خلطوا بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية - كما سنرى في عرضنا لآراء أهل السنة - ومن هنا اضطروا إلى نفي القبح والحسن في الأفعال والأشياء كلية إذ أن العقل العادي - الذي لم تغشاه غواشي الشبهات - لو تأمل الأفعال والأشياء لأدرك فيها حسناً وقبحاً هو عين ما كلفته به الشرائع ، وأوجبته عليه الرسالات ، وهي حـقيـقة لم يتمكنوا من المكابرة فيها ، إنما - لمّا لم تضطرد على أصلهم في عدم التفرقة بـين الإرادة الـشـرعـيـة والكونية - ذهبوا إلى ذلك الرأي الشاذ في نفي صفة الحسن والقبح في الأشــياء والأفعال نفياً مطلقاً ، وجعلوا العقل عاجزاً عن إدراك الخير والشر فيها.
يقول ابن القيم في شرح ذلك الأمر :
(ومن هذا الأصــل الـبـاطــل نشأ قولهم باستواء الأفعال بالنسبة إلى الرب سبحانه وأنها لا تنقسم في نفسها إلى حسن وقـبـيـح، فــلا فــرق بالـنسبة إليه سبحانه بين الـشـكر والكفر، ولذلك قالوا : لا يجب شكره على نعمه عقلاً ، فعن هذا الأصل قالوا: إن مشيئته هي عين محبته، وأن كل ما شاءه فهو محبوب له، ومرضي له ومصطفى ومختار ، فلم يمكنهم بعد تأصيل هذا الأصل أن يقولوا إنه يبغض الأعيان والأفعال التي خلقها، ويحب بعضها، بل كل ما فعله وخلقه فهو محبوب له ، والمكروه المبغوض لم يشأه ، ولم يخلقه ، وإنما أصلوا هذا الأصل محافظة منهم على القدر، فحثوا به على الشرع والقدر، والتزموا لأجله لوازم شوشوا بها على القدر والحكمة وكابروا لأجلها صريح العقل) (22) .
الخطأ -إذن- قد نشأ وتطور لدى الأشاعرة في هذا الأمر نتيجة خلطهم في مفهوم الإرادة الإلهية من جهة ، وفرارهم من غلو المعتزلة في مسألة الحسن والقبح العقلي إلى غلو مقابل من جهة أخرى .
ثمة أمر آخر كان له أثر في توجيه النظرية ، الأشعرية عن السببية ، ذلك هو ما ذهبت إليه المعتزلة - والمعتزلة مرة أخرى! - إلى أن الله تعالى لا يفعل إلاّ الأصلح لعباده ، بل إنه يجب عليه فعل الأصلح لهم ، مراعاة لمصالحهم ، وحفاظاً عليهم من المفاسد بل إن منهم من تعدى ذلك إلى عدم قدرته -تعالى الله عما يقولون

علواً كبيراً- على فعل الشر أو المفاسد التي يتوهمونها كما ذهب إليه النظام المعتزلي ، فإن ذلك مقتضى عدله ، ومسوِّغ ثوابه وعقابه ، والعباد هم الفاعلون الخالقون لتلك الشرور والمفاسد ، وهى خارجة عن مشيئته سبحانه كما بيّنا ، إذ أن (الباري تعالى حكيم عادل ، لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم ، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ، ويحتم عليهم شيئاً ثم يجازيهم عليه)(23) .

وكـمـا رأيــنـا من قـبـل، فـقــد فرت الأشاعرة من النقيض إلى النقيض، فنفوا أن يفعل الله سبحانه ما فيه مصلحة العباد والله سبحانه لا يسأل عما يفعل ، إذ كيف يتوهم العقل أن يـفـعـل لمصلحة أو يترك لمفسدة ، والله سبحانه يفعل من واقع المشيئة المطلقة المجردة عن المصلحة، أو المفتقرة إلى علة في أفعالها، فهو (لا يفعل شيئاً لشيء ، ولا يأمر لحكمة ، ولا جعل شيئاً سبباً لغيره ، وما ثم إلا مشيئة محضة ، وقدرة ترجح مثلاً على مثل بلا سبب و لا علة) (24) .

ثم لا نغفل الإشارة إلى أمر قد كان له أثره في ذلك المنهج الذي انتهجه الأشاعرة في مناقضة المنهج الاعتزالي ، ذلك أن الطبيعة البشرية تميل إلى التطرف ما لم تدركها رحمة الله تعالى ، والهروب من التطرف قد يلقى بصاحبه إلى التطرف المقابل ما لم تضبط حركته بضوابــط تـهـديــه إلى الوسط الأعدل . وقد عاش إمام الأشاعرة الأول (أبو الحسن الأشعري) مـعـظـم سنيّ حياته معتزلياً ينافح عن عقيدة الاعتزال ، ولاشك أن لهذا الأمر صلة مؤكدة بالاتجاه الـفـكـري الــذي سـلـكــه فيما بعد، إذ دفعه دفعاً إلى تطرف مقابل في مسألة خلق الأفعال ومفهوم السببية وما حــولها كما بينا ، كما أنه -من جهة أخرى- قد صاحبه أثر اعتزالي في بعض آرائه الأخرى ، وإن لم تكن محلاً لدراستنا الحاضرة .

وحـيـن نصل إلى تلك النقطة من البحث ، فإننا نكون قد أشرفنا على لب الفكرة الرئيسية التي نقصد إليها منه ، وهي عرض لمفهوم السببية الذي كان لانحرافه عن وجه الحق أثر بالغ في فكر المسلمين، وبالتالي في واقعهم الممتد عبر قرون التخلف

والتقليد، وحتى عصرنا الحاضر الذي هو -في الحقيـقـة - محط اهتمامنا ، ومحل دراستنا، ليرتبط تقويم الـفـكـرة وتوجـيـهـها بإصــلاح الواقع وتغييره، وهو ما سنوالي عرضه في البقية الباقية من صفحات المقال في العدد المقبل إن شاء الله تعالى.

((رَبَّــنــَا لا تُــزِغْ قُـلُــوبَـنَـا بَـعْــدَ إذْ هَـدَيْتَـنَا وهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ))
[آل عمران:8]

الهوامش :

1 - معبد بن خالد الجهنّي البصريّ : أول من ابتدع القول بالقدر وأخذه عن نصراني اسمه (سوسن) بالعراق حسب ما رواه الأوزاعي ، اختلف فيمن قتله ، فقيل الحجاج لخروجه مع ابن الأشعث وقيل عبد الملك بن مروان حوالي عام 80 هـ أو بعدها . تهذيب التهذيب 10/225 .

2 - غيلان بن مسلم الدمشقي ، أخذ عن معبد ، وقتله هشام بن عبد الملك لبدعته . الأعلام 5/124 .

3 - وهي : التوحيد (نفي الصفات) ، العدل (نفي القدر) ، المنزلة بين المنزلتين . الوعد والوعيد ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

4 - واصل بن عطاء الغزّال : ولد بالمدينة عام 80هـ ، وكان رأس المعتزلة لمّا اعتزل حلقة الحسن البصرى ت 131 هـ ، لسان الميزان 6/214 ، الأعلام للزركلي 8 /108 .

5 - عمرو بن عبيد بن باب البصري : ولد بالمدينة عام 80 هـ وصحب واصلاً ، واعتزل معه حلقة الحسن البصريّ ، وعرف عنه الورع والعبادة ، مع قوله ببدعة القدر وسب الصحابة وسائر أقوال الاعتزال ، توفي في 142هـ الأعلام 5/81 ، وفيات الأعيان 1/384 .

6 - عبد الجبار بن أحمد ، القاضي الهمداني ، ولد حوالي 320هـ ، برع في الفقه والحديث ، وانتحل مذهب الأشاعرة فترة ثم انتقل إلى الاعتزال ، توفي بالريّ عام 415 هـ الأعلام 3/273 ، تاريخ بغداد 11/113 .

7 - الملل والنحل للشهرستاني 1/45 .

8 - إبراهيم بن سيّار النظام : شيخ الجاحظ : عرف عنه الذكاء ، واطلع على كتب الفلاسفة والدهريين ، وقد ابتدع في الاعتزال أقوال لم يسبق إليها كقوله بالطفرة ، وعدم قدرة الله سبحانه على فعل الجور توفي بين 221 هـ ، 223 هـ . طبقات المعتزلة لابن المرتضى /49 ، الفرق بين الفرق للبغدادي /131 .
9 - جهم بن صفوان الراسبي : كاتب الحارث بين سريج ، تتلمذ للجعد بن درهم ، وقال عنه الذهبي : الضال المبتدع ، رأس الجهمية (تذكرة الحفاظ) . أول من قال بالإجبار في الأعمال . (الفرق البغدادي)/211 .
10- الملل والنحل للشهرستاني 1/87 .
11 -الشهرستاني 1/90 ، والفرق للبغدادي/213 .
12 - الشهرستاني 1/96 .
13 -الشهرستاني 1/97 .
14 - محمد بن الطيب بن محمد ، أبو بكر الباقلاني ، القاضي ، ولد بالبصرة ، وسكن بغداد ، وتوفي بها عام 403 هـ، وكان غزير الإنتاج ، له من التصانيف المشهورة التمهيد ، والتقريب والإرشاد ، المقنع في أصول الفقه ، وكان مالكّي المذهب ، أشعريّ العقيدة ، مقدماً عندهم فيها . الأعلام 6/176 ، تاريخ بغداد 5/379 .
15- الشهرستاني 1/97 .
16- شفاء العليل لابن القيم /49 .
17- شفاء العليل/50.
18- عبد الملك بن عبد الله الجويني ، أبو معالي ، ولد ببلدة نيسابور عام 413هـ وتلقى العلم على المذهب الشافعي من والده الملقب ركن الإسلام ونبغ وناظر العلماء ، ثم توجه لمكة والمدينة حيث جاور بهما أربع سنوات وعاد بعدها إلى نيسابور حيث أقام له نظام الملك المدرسة النظامية ليدرس فيها ، واستمر على ذلك عشرين عاماً حتى وفاته -رحمه الله تعالى - في 478 هـ ، وكان عالماً جليلاً له مؤلفات شهيرة كالغياثي ، والبرهان في أصول الفقه ، لولا انتسابه إلى المذهب الأشعري في بعض مسائل الصفات وغيرها . مذاهب الإسلاميين /679 وبعدها .

19- شفاء العليل لابن القيم /123 ينقل عن النظامية لإمام الحرمين .
20 - الشهرستاني / 45 .
21 - الشهرستاني/ 42 .
22 - شفاء العليل /127 .الشهرستاني/101 .
23 - الشهرستاني / 46،47 .
24- البغدادي ، الفرق بين الفرق .

من أقوالهم

إن الإيـمـان بالـلـه هـو نـقـطـة الـتـحـول في حياة البشرية من العبودية لشتى القوى وشتى الأشياء، وشـتـى الاعـتـبـارات إلى عـبـوديـة واحـدة لله تحـرر بها النفـس من كل عبودية وهي نـقـطـة الـتـحول كذلك من الفوضى إلى النظام، ومن التيه إلى القصد، ومن التفكك إلى وحدة الاتجاه.

سيد قطب

إذا أعـجـب المـرء بـنفسه عمي عن نقائصها، فلا يسعى في إزالتها، ولهي عن الفضائل فلا يسعى في اكتسابها ، فعاش ولا أخلاق له ، مصدراً لكل شر ، بعيداً عن كل خير.

ابن باديس

... إن لم يكن البحر فلا تنتظر اللؤلؤ ، وإن لم يكن النجم فلا تنتظر الـشـعـاع وإن لم تكـن شجرة الورد فلا تنتظر الورد ، وإن لم يكن الكاتب البيانِّي فلا تنتظر الأدب.

مصطفى صادق الرافعي

من مشكاة النبوة

منصور الأحمد

عن ابن شهاب ، أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت : ألا يعجبك أبو هريرة؟! جاء فجلس إلى جانب حجرتي ، يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُسمِعـنــي ذلك ، وكنت أُسبِّح ، فقام قبل أن أقضي سُبْحَتي ،

ولو أدركته لرددت عليه ، أن رسول - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يسرد الحديث مثل سردكم) .
أبو داود ، باب سرد الحديث
من كتاب العلم من سننه 320/3 .
لم يعرف تاريخ الدعوات شخصاً بعيد التأثير في أمته ؛ كالرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ولم نعرف أن أحداً استطاع أن يؤثر في كل جانب من جوانب حياة أمة من الأمم كما أثر محمد بن عبد الله - صلى الله عـلـيــه وسلم - في أمته ، فقد كان المثل الأعلى في كل شيء ، وكان القدوة الكاملة في كل سلوك سواء كان ذلك في حياته العامة أو الخاصة .
ومع أن حياة الرسول - صلى الله عليه وسلـــم - كلها تشكل القدوة للمسلمين ، لكن أكثر جوانبها أهمية هو ما يختص بالدعوة ، وما يتعلق بالتبليغ .
ولقد حفظت لنا السيرة النبوية هذا الجانب من حياة نبينا ونشاطه أوضح ما يكون الحفظ.
وإنني لا أستطيع - ولا أدعي - في هذه العجــالة أن أرسم صورة كاملة لشخصية النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يدعو الناس ويبين لهم ، ويبلغهم ما أوحى إليه ، فهي صورة ممتدة متراحبة عبر السنة النبوية غنية ، ممتـلـئة بالمعاني السامية تظل أية صورة منقولة من عالم الواقع أو الخيال بعيدة عن أن تقارن بها ، فضلاً عن أن تقاربها .
ومن أبرز سمات الداعية في شخصية النبي - صلــى الله عـلـيـه وسلــم - سمتان رئيسيتان هما:
1- الحرص على إفادة الناس من أقرب طريق وأوضحه .
2 - والبعد عن التكلف والافتعال .
هذان اثنان من كبار الصحابة ، ومن أكثرهم رواية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو هريرة ، وعائشة ، رضي اللـــه عنهما . فلننظر إلى واحد منهما ، في تأثره بجانب الدعوة من شخصية النبي - صلى اللــه عـلـيـــه وسلم - . لقد لازم أبو هريرة النبي عليه الصلاة والسلام ملازمة تامة ، منذ وفوده على النبي - صلى الله عليه وسلم - مسلما ، في السنة السابعة من الهجرة ،

وقد حرص - رضـــي اللـه عـنه - على الاستزادة من العلم ، ولهذا لم يشغل نفسه خلال معاصرته لرسول الله - صلى الله علـيه وسلم - بشيءٍ ماخلا العلم والحفظ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فلم يشغله الصفق في الأسواق(1) كما عبر هو مرة حين ليم على كثرة تحديثه ، لذلك فقد حفظ أبو هريرة عن رسول - صلى الله عليه وسلم - كثيراً وكان أكثر الصحابة حديثاً عنه - صلى الله عليه وسلم - .

وقد كان حريصاً - رضي الله عنه - أن يبلغ ما سمع من رســـول اللـــه - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس ، أداءً للأمانة ، وقيامه بواجب الدعوة إلى الله ، كـمــا فهمها من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

»نضّر الله امرءاً سمع منا شيئاً ، فبلّغه كما سمعه ، فربُّ مبلَّغٍ أوعى من سامع« (الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح) .

»من سئلَ عن علمٍ فكتمه أُلْجِم يوم القيامة بلجام من نار« (أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن) .

وقوله : »من تعلم علماً مما يُبتغى به وجهُ الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصـيـــب به عَرَضاً من الدنيا ، لم يجد رائحة الجنة يوم القيامة« (رواه أبو داود بإسناد صحيح) .

وأمام مسؤولية أداء الأمانة ، وتبليغها بيضاء نقية ، والحرص على وصل النـاس الذين لم يسعدوا برؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - به .

فقد كان ربما حدث بأكثر من حديث في مجلس واحد ، وفي أحد هذه المجالس سمعته أم الـمــؤمنين عائشة -رضى الله عنها- التي ذكرها هذا المجلس من أبي هريرة بجانب من شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - الداعية . وأم المؤمنين حرية أن تكون من أكثر النـــاس خبرة ودراية بذلك ، كيف لا ؛ وهي في زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - ، والمطلعة على ما دقّ وجلّ من حياته وهديه .

لـقـد قـــارنت بين طريقة النبي -صلى الله عليه وسلم- في تبليغ الناس وتعليمهم ؛ وبين طريـقـة أبي هريرة وبعض حَمَلَةِ السنة فوجدت أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يحرص على الإفـهــام

لا على ، حشد المعلومات ، ويهتم بالكيف لا بالكم ، فحسب الناس جملة قصيرة ذات مـعـنـى جامع يفهمونها ويطبقونها ويكون فيها الغناء عن سرد كلام طويل لا يُفرغ من آخره حتى ينسى أوله .

وكان هذا دأبه - صـلـى الـلـــه عـلـيـه وسلم - في شتى أموره سواء كان تبليغ القرآن ، أو حديثه للناس ، وإن المتتبع لسيرته في ذلك يرى عجباً .

يرى درايته وعمق معرفته بنفوس المخاطبين ، ومعرفته لمقتضى الحال التي ينطلق منها في وصل الناس به ، فربما سأله سائل فيكتفي برده بكلمات قصار وربما سئل عن أمر فتلطف بالرد غاية اللطف بأن جعل الجواب في ثنايا موعظة مؤثرة .

وربما صرف ذهن السائل إلى قضية أو قضايا أكثر أهمية من القضية المسؤول عنها ، وربما أجـاب السائل بسؤال جوابه معروف مستقر في البديهة في صنوف من الأساليب الحكيمة التي تستهدف غرس الحقيقة في نفوس المخاطبين من أقرب طريق وبقائها حية فاعلة بين حارسين من يقظة العقل وصحوة الوجدان .

ولئن غابت هذه الحقيقة عن بعض الصحابة - كأبي هريرة - وهذا لا ينقص من أجر هذا الصحابي الجليل ولا من قدره - فلقد وعاها آخرون منهم - رضي الله عنهم جميعاً - مثل عائشة- في هذا الحديث - وابن مسعود.

فـعـــن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : كان ابن مسعود ، -رضي الله عنه- يذكرنا في كل خميــس مرة ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، لوددت أنك ذكّرتنا اليوم ، فقال : أما إنـه يمنعني من ذلك وأني أكره أن أمِلَّكم ، وإني أتخَوَّلُكم بالموعظة كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتخوَّلنا بها مخافةَ السآمة علينا . (متفق عليه).

وفي تبـلـيـغـه القرآن كان - صلى الله عليه وسلم - يحرص على أن يعلم أصحابه الآيات ذوات العدد ولم يكن يجاوز ذلك إلا بعد أن يطمئن إلى حفظهم لها ، والعمل بها .

ولقد غفل كثير من الدعاة المسلمين في العصور المتعاقبة عن هذه الحقيقة وجاوز بعضهم حد الشطط في الحرص على الإطالة والإسهاب - من غير طائل - سواء كان ذلك خطابة ، أو كتابة.
فـكـــم من خطيب نراه يهوي في خضم من الشرح والتفصيل والاستطراد حتى يُمِلَّ الناس ويصرفـهـم عنه بتشقيقه الكلام ، حتى لتحسبه يريد أن يشرح لهم تعاليم الإسلام - التي مكث محمد ابن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثاً وعشرين سنة يبلغها للناس - كل ذلك في جلسة واحدة ، غير عابئ بطاقات الناس ، ولا مراع التفاوت في الفهم والاستيعاب بين مـــن يـخـاطـــب ، لهذا لا نستغرب إذا ما وجدناه يهيم في وادٍ ، والمخاطبون في واد آخر!.
وكم من كاتب يسوِّد صفحات كثيرة ، بكلام هو تحصيل حاصل ، ويبدئ ويعيد في قضايا قتلها العلماء بحثاً، ولو نُظِرَ إلى (إنتاجه العلمي الغزير!) بل إلى (إنشائه) بعين الإنصاف، لسُلِك في سِلكِ (الورمَ الثقافي) الذي ينتاب ثقافة ما في وقت من الأوقات .
لقد أصبحت قـضـيــة الإنشاء في مجال الكتابات الإسلامية مرضاً حَرِيّاً بالمعالجة ، وقضية جديرة بأن تناقش على ضوء المنهج النبوي في الدعوة . ولو استعرضنا خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - وخـطــب الـصـحـابـــة وتابعيهم ، لا تضح لنا كم كانوا يحرصون على الإيجاز والوضوح ، وأن يكون لكلامهم مـعـنـــى ولأدركـنـــا مدى اهتمامهم بمعرفة نفوس الجماعة المخاطبة .
خـطـب قصيرة ، وجمل مؤثرة ، ممتلئة بالحكمة ، مكتنزة بالخبرة في النفوس والأزمنة ، صــادرة من قلوب مطمئنة عامرة بالإيمان ، مفعمة باليقين الذين يدفعها إلى العمل . بعيدة عــن التكلف الذي ينبت في ظلال الفراغ ، ويكثر في أجواء الخمول . وهاهنا خطب طويلة مـمـلـــة ، وموضوعات مختلطة متشعبة يبدأ أحدها بأمر وينتهي بأمر ، وتحسب خطبة دخلت في شيء فإذا هي تخرج إلى اللا شيء . همّ أصحابها الحرص على التباهي وتزجية الوقت ، وقد يسأل صاحبها الناس: كيف وجدتم الخطبة، لا : كيف تأثركم بما سمعتم، وصـراخ فـي وقت يقتضي السكينة ، وجعجعة والناس نيام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !!.

تـــرى مــا الذي دفع بخطباء اليوم إلى انتهاج ذلك السمت المخالف لما كانت عليه خطابة الأمس؟ هــل هو الفراغ الثقافي الذي يعاني منه مسلمو اليوم؟ ؛ أم هي الرغبة التي تعتري من قل علمه حين يعتلي منبر الخطابة فإذا هو يحسب نفسه كقائد قد امتطى صهوة جواده وراح يضـرب في الأعداء يمنة ويسرة وهو يزمجر ويصيح بما تفزع منه النفوس.. ولا تحصل معـنـى مـــن وراءه العقول !؟ أم هي مجرد محبة الكلام التي أولعت بها القلوب منذ عصر انحـطاط العالم الإسلامي، وإحلاله للشكل محل الموضوع، وتقديمه للنظري مقابل العملي، وما يستتبع ذلك من تفضيل الإطالة على الإيجاز والتكرار على التجديد .
إن دلالات تلـك الظــواهر على ما يسود المجتمع الإسلامي اليوم من تأخر في كافة نواحي الحياة هي دلالات مؤكـدة تحتاج إلى من يقف عندها متفحصاً دارساً ... ثم مداوياً . وهي تحتاج إلى عقل واعٍ قد فقه الكتاب والسنة ، وتعمق في دراسة النفس الإنسانية ودوافعها ، وإلى عين تدربت على تمـيـيــز الباطل وإن حاط نفسه بالكثير من الصواب ، وإلى نفس قد احتسبها صاحبها لله فباشر الـعـلاج بشجاعة وهمة تلك هي نفس الداعية..
ما أحوج المسلمين - وأخص الدعـــاة مـنـهـم -إلى ترك الفضول من القول والعمل ، وتوفير الجهد والوقت ، والانصراف إلى النافع من ذلك ، والتأسي بهدي النبوة ، ودراسة الواقع الذي يتحركون فيه ، والناس الذين يخاطبون ، حتى يقع كلامهم الموقع المرتجى ، وتثمر جهودهم الثمر المرتقب ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

خواطر في الدعوة

هذه الشريعة عربية

أبو أنس

((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))

معاذ الله أن نكتب من زاوية قومية ، أو نـتـحــدث بلوثة قومية ، ولكن الحقيقة التي قد تغيب عن بعض الأذهان هي أن هذا الدين

لا يـفـهـــم حـــق الفهم ، ولا تستوعب مراميه القريبة والبعيدة ، ولا يحاط بقواعده الكلية وتفصيلاته الجزئية إلا عن طريق اللغة العربية فيها نزل القرآن الكريم ، وبها بلّغ البشير النذير محمد - صـلــى الـلـه عليه وسلم- وبها كتبت أصول الإسلام في العقيدة والفقه والحديث والتفسير... وهي من الاتـسـاع والـشـمـول والدقة بحيث استوعبت مضامين الشريعة كلها ، وتستطيع استيعاب العلوم النافعة في أي عصر ، وهي من أنقى اللغات عن الدخيل والهجين وأفضلها تعبيراً عما يستكن في الضمير والشعور ولا سبيل إلى فهم هذا الدين من غير هذه الجهة ، لأن اللغة العربية وإن اشتركت مـع اللـغـات الأخـرى فـي أمــور عامة إلا أن لها أوضاعاً تختص بها ، ليس هنا المجال لتفصيلها ولأنه مهما كانت الترجمة إلى اللغات الأخرى صحيحة ودقيقة فلن تفي بالغرض ولن تؤدي المطلوب ، هذا إذا كانت هـذه الـلـغـــات فـيـهـا مـن الحيوية ما يساعدها على استيعاب كثير من الأمور ، فكيف إذا ترجم إلى لغات محلية ضـيـقـة هـي مـزيج من لغات شتى ليس بينها أي ترابط .
والذي يرى في هذه الأيام ما تؤدي إليه الترجمة من أخطاء وأخطار في فكر الذيـن يسلمون من أهل الغرب أو الشرق تتضح له صورة الماضي عندما دخل الأعاجم في الإسلام ولكنهم لم يتقنوا العربية أو بقيت هي لغة العلم والثقافة وتمسكوا بلغاتهم المحلية ، ثم انـتـقـل بـهم الأمـر فـرجـعـوا إلى لغاتهم السابقة ونسوا العربية ، وجاءت نغمة الشعوبية القومية ، وبدأ التفاخر بالفردوسى والشيرازي الذين كتبا الشعر بالفارسية .
بل نستطيع الـقـول : إنه لا يكفي في فهم الإسلام تعلم العربية في كتب النحو بل لابد من معرفة معهود الـعـرب يوم أنزل القرآن من هذا اللفظ أو من ذاك حتى لا نحمّل اللفظ أكثر مما يحتمل ، فإذا كـانـت الـكـلـمـات لا تـزال هـي هي في تركيبها إلا أن بعضاً منها تغير مضمونها بسبب البعد عن الفصاحة ، ولذلك فإن كـثـيـراً مـن الانحرافات في فهم الإسلام إنما جاءت من العجمة ، والذي يتتبع تاريخ التفرق سيرى مصداق ذلك .

نقول هذا ونحن نعلم الصعوبات التي تعترض انتشار العربية بـيـن صفوف المسلمين من غير العرب ولكن أليس حريّاً بالدعاة ، وطلبة العلم والعلماء منهم أن يـتكـلموا بالعربية ويقرؤوا تراثهم بالعربية؟ وهم يعلمون أن اعتياد التكلم بغير العربية في قطر مـن الأقـطـار أو بلد من البلدان أمر كرهه العلماء ، ذلك لأن العربية هي شعار الإسلام ولغة القرآن وتعـلـمـهـا مـن الدين ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

تمت بحمد الله